

تفسير آيات الغدير الثلاث

مركز المصطفى للدراسات الإسلامية
برعاية المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني

الناشر دارالهدى - قم

الطبعة الأولى - ١٤٢٧

الكتاب:..... تفسير آيات الغدير
المؤلف:..... علي الكوراني العاملي
الطبعة:..... الأولى
الناشر:..... دار الهدى - قم
العدد:..... ١٠٠٠٠ نسخة
١٤٢٧ هجرية - ٢٠٠٦ ميلادية

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

وبعد ، فهذا تفسير علمي موجز لآيات الغدير الثالث ، التي نزلت في حجة الوداع ، في بيعة الغدير ، يوم أعلن النبي ﷺ علينا ﷺ ولياً على الأمة بعده ، وأمر المسلمين أن يهنتوه وبياعوه . وهي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . (المائدة: ٦٧) .

وقوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا . (المائدة: ٣) .

وقوله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ . (المعارج: ١-٢) .

أرجو أن ينفعنا الله بها ، ويوفقنا للوفاء لنبيه ﷺ في التمسك بالقرآن والعترة الطاهرين ، ويشملنا بشفاعتهم ﷺ .

علي الكوراني العاملي

في السابع والعشرين من شهر رمضان ١٤٢٧

صفحه ٤ سفيد

آية التبليغ مع سياقها

قال الله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ. وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ. يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ. وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) (المائدة: ٦٤-٧١).

موضع الآية في القرآن

السياق القرآني حجة ، إذا ثبت تسلسل الآيات بدليل من داخل القرآن أو خارجه ، أما إذا لم توجد قرينة على الإنصال فيكون السياق مشكوكاً ، ولا يصح ربط الآية بسياقها الفعلي كما في آية التبليغ ، وسبب ذلك أن الصحابة قالوا إنهم وضعوا آيات في السور باجتهادهم فنفوا بذلك توقيفية ترتيب الآيات ! (راجع كتاب ألف سؤال وإشكال: ١/٣٠٣)

وعلى القول بحجية السياق مطلقاً ، فأية التبليغ وسط آيات عن أهل الكتاب فهي تقول للنبي ﷺ: بلغ ولا تخف أهل الكتاب فنحن نعصمك منهم ! لكن هذا التفسير لا يمكن قبوله ، لأن الآية من سورة المائدة وقد نزلت قبل وفاة النبي ﷺ بشهرين ، أي بعد أن بلغ الرسالة وانتصر ، ولم يكن عليه خوف من اليهود والنصارى !

فما هي الرسالة التي أمره الله أن يبلغها ، وجعل تبليغها مساوياً لتبليغ الرسالة كلها ، وعدم تبليغها مساوياً لإبطال تبليغه كله ؟!
وما هي العصمة التي وعده ربه بها ، قبل أن يتوفاه بشهرين ؟!

تفسير الشيعة لآية التبليغ

قال الشيعة إن المأمور بتبليغه في الآية أمرٌ خاصٌّ أوحاه الله الى رسوله ﷺ وأمره بتبليغه ، وهو ولاية علي عليه السلام ، ولا يصح أن يكون

كل ما أوحى إليه ﷺ، لأن الآية نزلت في أواخر أيامه ﷺ، ولأن الله جعله مساوياً لكل عمل نبيه ﷺ في تبليغ الرسالة، فلا يصح أن يكون معناه: إن لم تبلغ الكل فلم تبلغ الكل!

وكذا العصمة في الآية، ليست عصمة للنبي ﷺ في العمل، لأنها موجودة من أول حياته، والآية في آخرها. بل هي عصمة له ﷺ من الناس أن يتهموه بأنه حابي ابن عمه فأوصى له بخلافته، وأنه يريد تأسيس ملك لبني هاشم، فيرتدوا لذلك عن الإسلام.

وأحاديثنا بذلك متواترة، ففي تفسير العياشي: ٣٣١/١، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالوا: (أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن ينصب علياً علماً للناس ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله أن يقولوا حابي ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ).

وفي الكافي: ٢٩٠/١، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (فرض الله على العباد خمساً، أخذوا أربعاً وتركوا واحدة! قلت: أتسميهن لي جعلت فداك؟ فقال: الصلاة، وكان الناس لا يدرون كيف يصلون فنزل جبرئيل فقال: يا محمد أخبرهم بمواقيت صلاتهم.

ثم نزلت الزكاة فقال: يا محمد أخبرهم من زكاتهم ما أخبرتهم من صلاتهم. ثم نزل الصوم فكان رسول الله ﷺ إذا كان يوم عاشوراء

بعث إلى ما حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم ، فنزل شهر رمضان بين شعبان وشوال . ثم نزل الحج فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: أخبرهم من حجهم ما أخبرتهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم .

ثم نزلت الولاية... وكان كمال الدين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فقال عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله: أمتي حديثو عهد بالجاهلية ، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي يقول قائل ويقول قائل ، فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني فأنتني عزيزة من الله عز وجل بئلة أوعدني إن لم أبلغ أن يعذبني ! فنزلت: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام فقال: أيها الناس إنه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبلي إلا وقد عمره الله ثم دعاه فأجابه ، فأوشك أن أدعى فأجيب ، وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأديت ما عليك ، فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين. فقال: اللهم اشهد ، ثلاث مرات . ثم قال: يا معشر المسلمين هذا وليكم من بعدي، فليبلغ الشاهد منكم الغائب).

وفي البحار: ٣٠٠/٩٤، أن الإمام الصادق عليه السلام قال لمواليه وشيعته: (أتعرفون يوماً شيد الله به الإسلام وأظهر به منار الدين ، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا ؟ فقالوا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم ، أيوم الفطر هو يا

سيدنا؟ قال: لا . قالوا: أفيوم الأضحى هو؟ قال: لا ، وهذان يومان جليلان شريفان ، ويوم منار الدين أشرف منهما وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، وإنَّ رسول الله ﷺ لما انصرف من حجة الوداع وصار بغدير خم أمر الله عز وجل جبرئيل أن يهبط على النبي ﷺ وقت قيام الظهر من ذلك اليوم ، وأمره أن يقوم بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأن ينصبه علماً للناس بعده ، وأن يستخلفه في أمته ، فهبط إليه وقال له: حبيبي محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك: قم في هذا اليوم بولاية علي ليكون علماً لأمتك بعدك يرجعون إليه ويكون لهم كآنت . فقال النبي ﷺ: حبيبي جبرئيل إني أخاف تغير أصحابي لما قد وتروه ، وأن يبدوا ما يضمرون فيه، فخرج وما لبث أن هبط بأمر الله فقال له: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فقام رسول الله ﷺ ذِعراً مرعوباً خائفاً وقدماه تُشْوِيَانِ من شدة الرمضاء ، وأمر بأن ينظف الموضع ويُقَمَّ ما تحت الدوح من الشوك وغيره ، ففعل ذلك، ثم نادى بالصلاة جامعة فاجتمع المسلمون وفيمن اجتمع أبو بكر وعمر وعثمان وسائر المهاجرين والأنصار، ثم قام خطيباً وذكر الولاية فألزمها للناس جميعاً ، فأعلمهم أمر الله بذلك).

كَمَّمِ اللَّهُ أَفْوَاهَ قَرِيشٍ فِي الْغَدِيرِ ، فَعَصِمَ رَسُولَهُ ﷺ مِنْهُمْ !

سمح الله تعالى لقريش بأن تشوش على نبيها ﷺ في حجة الوداع ، وتُفهمه بأنها ستعلن الردة إن أوصى بخلافته لعترته ! وتنفست قريش الصعداء برحيله ﷺ بعد حجة الوداع دون أن يطالبها بالبيعة لعلي عليه السلام ! كما سمح لها أن تقول لنبيها ﷺ في مرض وفاته: لا نريد وصيتك ولا عترتك ولا ضمانك لعزتنا وهدايتنا مدى الدهر، فحسبنا كتاب الله ! لكنه عز وجل قرر أن يبلغها ولاية العترة بعد النبي ﷺ ويمنعها من إعلان الردة . هكذا أراد سبحانه !

إن آية العصمة لانعني أن الله تعالى جعل قريشاً رِيضَةً طائفة، فقد قال لها الصادق الأمين ﷺ: (ما أراكم تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا الدين). (أبو داود: ٦١١٨).

لكنه سبحانه أراد لتبليغه أن يتم ، وللأمة أن تجري عليها سنن الأمم الماضية فتمتحن بطاعة نبيها بعده، أما القدرة على الردة في حياته.. فلا. لذلك بعث الله جبرئيل عليه السلام في طريق عودة النبي ﷺ من حجة الوداع يأمره أن ينفذ تبليغ رسالته الآن ، وأنه سيعصمه من قريش ! فأوقف النبي ﷺ المسلمين بعد مسير ثلاثة أيام في حر الظهيرة ، في صحراء ليس فيها كلاً لخيولهم وجمالهم ، ولا سوق يشترون منه علوفة وطعاماً

إلا دوحهً من بضع أشجار على قليل من ماء ، ولم يصبر عليهم حتى يصلوا إلى الجحفة التي لم يبق عنها إلا ميلان أو أقل وبعث إلى من تقدم وأرجعهم ! كل ذلك ليصعد المنبر قبل الصلاة ويرفع بيد ابن عمه وصهره علي عليه السلام ويقول لهم: هذا وليكم من بعدي ، ثم من بعده ولداه الحسن والحسين ثم تسعة من ذرية الحسين عليه السلام.

هنا تجلت آية العصمة وتجسمت للعيان ، فقد كمّم الله تعالى أفواه قريش عن المعارضة وفتحها للموافقة ، فقالوا جميعاً: نشهد أنك بلغت عن ربك وأنك نعم الرسول ، سمعنا وأطعنا ! وتهافتوا مع المهتمين إلى خيمة علي عليه السلام يهتثونه ويبخبخون له ، وكبروا مع المكبرين عندما نزلت آية: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** . ثم أصغوا جميعاً إلى قصيدة حسان بن ثابت في وصف نداء النبي صلى الله عليه وآله وإعلانه ولاية علي عليه السلام بعده . واستمرت تهانيمهم لعلي عليه السلام من بعد صلاة العصر إلى ما شاء الله ، ثم بعد صلاة المغرب والعشاء على ضوء القمر ليلة التاسع عشر من ذي الحجة ، فقد بات النبي صلى الله عليه وآله في غدِير الإمامة ، وتحرك إلى المدينة بعد صلاة فجره ، وقيل بقي يومين ! نعم ، منع الله تعالى قريشاً أن تخرب مراسم النبي صلى الله عليه وآله في الغدير ، وكفّ ألسنتها السليطة؟! فقررت أن تمرّر هذا اليوم لمحمد صلى الله عليه وآله ، ليقول في بني هاشم وعليٍّ ما شاء؟!!

القول السنني الصحيح الذي أفلت من رقابة الحكومات !

مع حرص علماء الخلافة على إبعاد الآية عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد أفلتت منهم أحاديث موافقة لرأي أهل البيت عليهم السلام ! قال في الدر المنثور: ٢٩٨/٢: (أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساکر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، على رسول الله (ص) يوم غدير خم في علي بن أبي طالب . وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله (ص): يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - أَنْ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ). انتهى.

وفي كتاب المعيار والموازنة ٢١٣ ، عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن العباس الصحابين قالوا: (أمر الله محمداً (ص) أن ينصب علياً للناس ويخبرهم بولايته ، فتخوف رسول الله (ص) أن يقولوا حابي ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه ، فأوحى الله إليه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، فقام رسول الله بولايته يوم غدير خم). والحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل: ١٥٧/١ ، بأسانيد ، وتاريخ دمشق: ٨٥/٢ ، والميزان: ٥٤/٦ ، عن تفسير الثعلبي .

قال في الغدير: ٢١٤/١: (وما ذكرناه من المتسالم عليه عند أصحابنا الإمامية غير أننا نحتج في المقام بأحاديث أهل السنة في ذلك.. ثم ذكر عليه السلام ثلاثين مؤلفاً لعلمائهم أوردوا حديث نزول الآية في ولاية علي عليه السلام نذكر ملخصها:

- ١ - الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أخرج بإسناده في كتاب (الولاية) في طرق حديث الغدير، عن زيد بن أرقم قال: لما نزل النبي (ص) بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع، وكان في وقت الضحى وحر شديد، أمر بالدوحات فقمّت ونادى الصلاة جامعة فاجتمعنا فخطب فخطب بالغة ثم قال: إن الله تعالى أنزل إلي: بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ .
- ٢ - الحافظ ابن أبي حاتم أبو محمد الحنظلي الرازي .
- ٣ - الحافظ أبو عبد الله المحاملي ، في أماليه عن ابن عباس...
- ٤ - الحافظ أبو بكر الفارسي الشيرازي ، في كتابه ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين ، بالإسناد عن ابن عباس .
- ٥ - الحافظ ابن مردويه ، عن أبي سعيد الخدري: نزلت يوم غدير خم في علي بن أبي طالب ، وعن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله (ص): يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، أن علياً مولى المؤمنين...
- ٦ - أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري ، في تفسيره الكشف والبيان ..
- ٧ - أبو نعيم الأصبهاني ، في تأليفه: ما نزل من القرآن في علي .
- ٨ - أبو الحسن الواحدي النيسابوري ، في أسباب النزول .
- ٩ - أبو سعيد السجستاني ، بعدة طرق عن ابن عباس .
- ١٠ - الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ، عن ابن عباس ، وجابر .
- ١١ - ابن عساكر الشافعي ، عن أبي سعيد الخدري ...
- ١٢ - أبو الفتح النطنزي في الخصائص العلوية .
- ١٣ - فخر الدين الرازي الشافعي ، في تفسيره الكبير: ٦٣٧:٣.
- ١٤ - أبو سالم النصببي الشافعي في مطالب السؤول .

١٥ - الحافظ عز الدين الرسعني الموصلي الحنبلي .

١٦ - أبو إسحاق الحموي ، فرايد السمطين ، بأسانيده .

١٧ - السيد علي الهمداني ، في مودة القريبى عن البراء بن عازب قال: (أقبلت مع رسول الله(ص) في حجة الوداع، فلما كان بغدير خم نودي الصلاة جامعة فجلس رسول الله تحت شجرة وأخذ بيد علي، وقال: ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله . فقال: ألا من أنا مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . فلقبه عمر فقال: هنيئاً لك يا علي بن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة . وفيه نزلت: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ.. الآية .

١٨- بدر الدين بن العيني الحنفي ، في عمدة القاري في شرح البخاري: ٥٨٤/٨ .

الحسن البصري يكتفم حديث النبي ﷺ

قال الرازي في تفسيره: ٤٨/١٢: (روي عن الحسن عن النبي ﷺ قال: إن الله بعثني برسالته فضقت بها ذرعاً وعرفت أن الناس يكذبوني واليهود والنصارى ، وقريش يخوفوني فلما أنزل الله هذه الآية ، زال الخوف بالكلية). انتهى. وقد حرّف الرازي رواية البصري وزاد فيها ! وأصلها كما في الدر المتثور: ٢٨٩/٢: (عن الحسن (البصري) أن رسول الله (ص) قال: إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً ، وعرفت أن الناس مكذبني فوعدني لأبلغن أو ليعذبني فأنزل: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ). انتهى.

فأضاف الرازي (اليهود والنصارى) من عنده ليجعل العصمة منهم لا

من قريش، ويُبعد الآية عن ولاية علي عليه السلام، مع أن الخطر يومها لم يكن من اليهود والنصارى ، بل من قريش خاصة !

وكشف الإمام الباقر عليه السلام تحريف البصري للحديث ، ففي دعائم الإسلام للقاظي المغربي: ١٤/١، أن رجلاً قال له: (يا ابن رسول الله إن الحسن البصري حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله أرسلني برسالة فضايق بها صدري وخشيت أن يكذبني الناس فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني ! قال له أبو جعفر عليه السلام: فهل حدثكم بالرسالة؟ قال: لا. قال: أما والله إنه ليعلم ما هي ولكنه كتمها متعمداً! قال الرجل: يا ابن رسول الله جعلني الله فداك وما هي؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالصلاة في كتابه فلم يدرؤا ما الصلاة ولا كيف يصلون ، فأمر الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وآله أن يبين لهم كيف يصلون، فأخبرهم بكل ما افترض الله عليهم من الصلاة مفسراً . وأمر بالزكاة فلم يدرؤا ما هي ففسرها رسول الله صلى الله عليه وآله وأعلمهم بما يؤخذ من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والزرع ، ولم يدع شيئاً مما فرض الله من الزكاة إلا فسره لأمته وبينه لهم . وفرض عليهم الصوم فلم يدرؤا ما الصوم ولا كيف يصومون ففسره لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وبين لهم ما يتقون في الصوم وكيف يصومون . وأمر بالحج فأمر الله صلى الله عليه وآله نبيه صلى الله عليه وآله أن يفسر لهم كيف يحجون حتى أوضح لهم ذلك في سنته . وأمر الله عز وجل بالولاية فقال: إِنَّمَا

وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . ففرض الله ولاية ولاة الأمر فلم يدروا ما هي فأمر الله نبيه ﷺ أن يفسر لهم ما الولاية مثلما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فلما أتاه ذلك من الله عز وجل ضاق به رسول الله ذرعاً ، وتخوف أن يرتدوا عن دينه وأن يكذبوه ، فضاقت صدره وراجع ربه فأوحى إليه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فصدع بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه يوم غدير خم، ونادى لذلك الصلاة جامعة وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب . وكانت الفرائض ينزل منها شئ بعد شئ ، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا . قال أبو جعفر: يقول الله عز وجل: لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة، قد أكملت لكم هذه الفرائض). ونحوه شرح الأخبار: ١٠١/١، و: ٢٧٦/٢، بلفظ آخر وفيه: (جمع الناس بغدير خم فقال: أيها الناس إن الله عز وجل بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني، أفلستم تعلمون أن الله عز وجل مولاي وأناي مولى المسلمين ووليهم وأولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى، فأخذ بيد علي ﷺ فأقامه ورفع يده بيده وقال: فمن كنت

تفسير آية التبليغ..... ١٧

مولاه فعلي مولاه ومن كنت وليه فهذا علي وليه، اللهم وال من والاه
وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر الحق معه
حيث دار . ثم قال أبو جعفر عليه السلام: فوجبت ولاية علي عليه السلام على كل
مسلم ومسلمة). انتهى.

اتباع ابن تيمية يفقدون أعصابهم عند آية التبليغ

قال الألباني في صحيحته: ٦٤٤/٥: (كان يحرس حتى نزلت هذه الآية:
وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، فأخرج رسول الله رأسه من القبة فقال لهم: يا
أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله. أخرجه الترمذي: ١٧٥/٢ ، وابن جرير: ٦/
١٩٩ ، والحاكم: ٣/٢... الحديث صحيح ، فإن له شاهداً من حديث أبي
هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة
فجعلوها للنبي... الخ. أخرجه ابن حبان في صحيحه...

واعلم أن الشيعة يزعمون خلافاً للأحاديث المتقدمة أن الآية
المذكورة نزلت يوم غدیر خم في علي رضي الله عنه ويذكرون في
ذلك روايات عديدة مراسيل ومعاويل أكثرها ، ومنها عن أبي سعيد
الخدري ولا يصح عنه كما حققته في الضعيفة (٤٩٢٢) والروايات
الأخرى أشار إليها عبد الحسين الشيعي في مراجعاته ٣٨/ ، دون أي
تحقيق في أسانيدها كما هي عادته في سرد أحاديث كتابه ، لأن غايته
حشد كل ما يشهد لمذهبه سواء صح أو لم يصح على قاعدتهم (الغاية

تبرر الوسيلة)فكن منه ومن رواياته على حذر ! وليس هذا فقط بل هو يدل على القراء إن لم أقل يكذب عليهم فإنه قال في المكان المشار إليه في تخريج أبي سعيد هذا المنكر بل الباطل: أخرجه غير واحد من أصحاب السنن كالإمام الواحدي ! ووجه كذبه: أن المبتدئين في هذا العلم يعلمون أن الواحدي ليس من أصحاب السنن الأربعة ، وإنما هو مفسر يروي بأسانيده ما صح وما لم يصح ، وحديث أبي سعيد هذا مما لم يصح ، فقد أخرجه من طريق فيه متروك شديد الضعف ، كما هو مبين في المكان المشار إليه من الضعيفة . وهذه من عادة الشيعة قديماً وحديثاً أنهم يستحلون الكذب على أهل السنة عملاً في كتبهم وخطبهم بعد أن صرحوا باستحلالهم للتقية كما صرح بذلك الخميني في كتابه كشف الأسرار ، وليس يخفى على أحد أن التقية أخت الكذب ! ولذلك قال أعراف الناس بهم شيخ الإسلام ابن تيمية: الشيعة أكذب الطوائف ! وأنا شخصياً قد لمست كذبهم لمس اليد في بعض مؤلفيهم وبخاصة عبد الحسين هذا ، والشاهد بين يديك فإنه فوق كذبه المذكورة أوهم القراء أن الحديث عند أهل السنة من المسلمات بسكوته عن علته وادعائه كثرة طرقه . وقد كان أصرح منه في الكذب الخميني فإنه صرح في الكتاب المذكور/١٤٩، أن آية العصمة نزلت يوم غدير خم بشأن إمامة علي بن أبي طالب باعتراف أهل السنة واتفاق

الشيعة . كذا قال عامله الله بما يستحق). انتهى.

نقول للألباني: دع عنك التهم والشتائم وتصنيف من هم أصدق الطوائف وأكذبها ، فنحن لا نقول إن الشيعة كلهم عدول كالصحابه فهذا من الكذب ! لكن نقول إن النواصب أولى بالكذب والزور ، لأنهم كذبوا على أنفسهم فأبغضوا الذين أمرهم الله بحبهم ، وكذبوا على أنفسهم فنصبوا أشخاصاً وشخصات جعلوا حبهم فريضة بدون سلطان ! وقد اعترفت أنت بظلم ابن تيمية لعلي عليه السلام وكذبه في إنكار حديث الغدير (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) فصححت الحديث واعترفت بالحق مشكوراً ، وكتبت صفحات في ذلك في صحيفتك: ٣٣٠/٥ برقم ١٧٥٠ ، ثم قلت في ٣٤٤: (إذا عرفت هذا فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحته: أنني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضَعَفَ الشرط الأول من الحديث ، وأما الشرط الآخر فزعم أنه كذب ! وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقق النظر فيها . والله المستعان). انتهى. فقد اعترفت أيها الألباني بكذب إمامك على علي عليه السلام ، فكيف تقبل شهادته في اتهام شيعته !؟

ثم تعال أيها الشيخ الألباني ، لننظر هل صدقت في حكمك على حديث نزول آية: وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ ، في بيعة الغدير ، بأنه باطل

منكر، وقلت عن طريقه: (مراسيل ومعاضيل أكثرها)! فلماذا قلت أكثرها ولم تأت بغير الأكثر الذي استثنيته من الإرسال والإعصال؟! هل خفت أن يكون صحيحاً ويلزمك بالإيمان برسالة ربك التي أمر نبيه ﷺ أن يبلغها في ولاية علي عليه السلام؟! وهل رأيت طرق الثعلبي، وأبي نعيم، والواحدي، وأبي سعيد السجستاني، والحسكاني، وبحث أسانيدهم فوجدت في روايتها من لم تعتمد أنت عليهم؟! كلا، بل وقعت فيما وصفت به ابن تيمية من التسرع والتعصب، أي الكذب والتدليس؟!!

على أي لم يفت الوقت فترجو أن تفضل بقراءة ما كتبه في تفسير الآية، وترى الطرق والأسانيد التي قدمناها وتبحثها على مبانيك التي ذكرتها في كتبك، بشرط أن لا تتناقض فتضعف راوياً هنا لأنه روى فضيلة لعلي عليه السلام، ثم توثقه عندما يروي فضيلة لخصوم علي عليه السلام!

أقول: كتبت هذا الموضوع في حياة الشيخ الألباني قبل وفاته بنحو

سنتين، وأرسلته له إلى الأردن، مع طرق الحديث من شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني تلميذ الحاكم صاحب المستدرک: ١/٢٥٠-٢٥٧، وهي عدة طرق وفيها الصحيح على مبناه، ولم يجبني! ثم ذكرت ذلك لـ(صديقه) الحافظ حسن السقاف، صاحب كتاب (تناقضات الألباني الواضحات) فقال إن الألباني لن يجيب، وله معه تجارب!

أقوال علماء الحكومات في آية التبليغ

وقع علماء الخلافة في مشكلة عويصة ، فهم مضطرون لإبعاد الآية عن ولاية علي عليه السلام ، وإلا فقدوا خلافتهم ومذاهبهم ومناصبهم ، وماكلهم ومشاربهم ! لكن ماذا يصنعون؟ فإن قالوا إنها أمر بتبليغ الرسالة وقد نزلت في مكة كذبتهم الآية لأنها نزلت في آخر سورة قرب وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، وكان تبليغه للرسالة انتهى أو كاد ! وإن قالوا إن عصمته من الناس تتعلق بحياته ، فلماذا كان يتخذ الحرس من أول بعثته إلى آخر عمره الشريف !؟

مع ذلك فقد تعمدوا وأبعدوها عن ولاية علي عليه السلام ، وليكن ما يكون ! فتخبطوا في تفسيرها في أقوال واضحة التهافت والبطلان !

القول الأول: أنها نزلت في أول البعثة ، وأن النبي صلى الله عليه وآله خاف أن يبلغ رسالة ربه فامتنع أو تباطأ فهدده الله تعالى وطمأنه !

وهذه تهمة مشينة للنبي صلى الله عليه وآله الذي هو أعظم الناس إيماناً وشجاعة ، وحرصاً على تبليغ رسالة ربه ، بنص القرآن ، وبشهادة سيرته .

ولأن الآية وسورتها نزلت قبل شهرين تقريباً من وفاته صلى الله عليه وآله ، ومعنى قولهم أنها نزلت قبل ٢٣ سنة من نزول المائدة !

وقد ذكر الشافعي هذا القول بلفظ: "يقال" (الأم: ١٦٧) ! لكن هذا

"الْيُقَالُ" صار قولاً معتمداً عن علماء كبار ، لأنهم لم يجدوا وجهاً غيره
 يسعد الآية عن يوم الغدير وولاية علي عليه السلام ، وهم مضطرون الى ذلك
 ولو بالكذب على النبي صلى الله عليه وآله (والإتكال على الله) !

روى السيوطي في الدر المشهور: ٢٩٨/٢ والواحي في أسباب النزول: ١/٣٩٩ او
 ٤٣٨ عن ابن جريح قال: (كان النبي (ص) يهاب قريشاً فأنزل الله: وَاللَّهُ
 يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فاستلقى ثم قال: من شاء فليخذلني. مرتين أو ثلاثاً.
 وعن مجاهد قال: لما نزلت: بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، قال: يا رب إنما أنا
 واحدٌ كيف أصنع يجتمع علي الناس؟! فنزلت: وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ
 رِسَالَتَهُ) ! والطبري: ١٩٨/٦. والوسيط: ٢٠٨/٢. عن الأنباري: (كان النبي يجاهر ببعض
 القرآن أيام كان بمكة ويخفي بعضه إشفافاً على نفسه من شر المشركين إليه
 وإلى أصحابه) وقال في الكشاف: ٦٥٩/١، والوسيط: ٢٠٨/٢: إن الآية وعدٌ بالعصمة من القتل!
 وأكثر المخلطين في هذا القول ابن كثير! فقد جعل الآية في أول
 البعثة وخلطها بآية: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، وبت حديث الدار الوارد
 في تفسيرها وحذف منه أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يختار خليفته ووصيه
 من عشيرته الأقربين، ثم أورد حديثاً مكذوباً وفسره بأن النبي صلى الله عليه وآله كان
 يخاف أن يقتله القرشيون فطلب من بني هاشم شخصاً يكون خليفته في
 أهله ليقضي دينه، فقبل ذلك علي عليه السلام، ثم انتفت الحاجة إليه بنزول آية
 العصمة من الناس! قال في النهاية: ٥٣/٣، والسيرة: ٤٦٠/١: (قال علي: لما

نزلت هذه الآية: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، قال لي رسول الله: إصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لبناً وادع لي بني هاشم ، فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل... إلى أن قال: أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟ قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله... قلت: أنا يا رسول الله! قال: أنت . ومعنى قوله في هذا الحديث: من يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي يعني إذا مت ، وكأنه (ص) خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب أن يقتلوه فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ويقضي عنه ، وقد أمنه الله من ذلك في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ). انتهى.

وقد تجاهل ابن كثير أن روايته تنسب الجنب إلى النبي ﷺ حتى في المرحلة الأولى التي كان مأموراً فيها بدعوة عشيرته الأقربين فقط !

القول الثاني: أنها نزلت في مكة قبل الهجرة ، فاستغنى النبي ﷺ

عن حراسة عمه أبي طالب أو عمه العباس! وهذا القول هو المشهور في مصادرهم، وبعض رواياته نصت على نزولها في مكة ، وبعضها لم تنص كرواية عائشة لكن البيهقي والسيوطي وغيرهما فسروها بذلك . روى في الدر المشهور: ٢٩٨/٢ ، عن ابن مردويه والضياء في المختارة ، عن ابن عباس قال: (سئل رسول الله (ص): أي آية أنزلت من السماء أشد

عليك؟ فقال: كنت بمنى أيام الموسم واجتمع مشركو العرب وأفناء الناس في الموسم فنزل علي جبريل فقال: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، قال: فقامت عند العقبة فنادت: يا أيها الناس من ينصرنى على أن أبلغ رسالة ربي ولكم الجنة؟ أيها الناس قولوا لا إله إلا الله وأنا رسول الله إليكم ، تنجوا ولكم الجنة . قال فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبي إلا يرمون علي بالتراب والحجارة ويصقون في وجهي ويقولون كذاب صابئ ، فعرض عليَّ عارض فقال: يا محمد إن كنت رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك، فقال النبي: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، وانصرنى عليهم أن يجيبوني إلى طاعتك، فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه. قال الأعمش: فبذلك تفتخر بنو العباس... وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله (ص) إذا خرج بعث معه أبو طالب من يكلؤه ، حتى نزلت: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فذهب ليبعث معه فقال: يا عم إن الله قد عصمني لاحاجة لي إلى من تبعث) ! والطبراني الكبير: ٢٠٥/١١، والزوائد: ١٧٧/٧.

أما رواية عائشة فرواها الترمذي: ٣١٧/٤: (قالت: كان النبي يُحرس حتى نزلت هذه الآية: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فأخرج رسول الله (ص) رأسه من القبة فقال لهم: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله). والحاكم: ٣١٣/٢.

وقال البيهقي في سننه: ٨/٩: (قال الشافعي: يعصمك من قتلهم أن يقتلوك حتى تبلغهم ما أنزل إليك ، فبلغ ما أمر به فاستهزأ به قومه فنزل: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) .

وفي الدر المنثور: ٢٩١/٢، ٢٩٨: (وأخرج الطبراني وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: كان العباس عم النبي فيمن يحرسه فلما نزلت: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، ترك رسول الله الحرس . وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن أبي ذر قال: كان رسول الله لا ينام إلا ونحن حوله من مخافة الغوائل حتى نزلت آية العصمة). وأخذ بهذا القول: السهيلي في الروض الأنف: ٢٩٠/٢، والقسطلاني في إرشاد الساري: ٨٦/٥، وابن العربي في شرح الترمذي: ٦ جزء ١١/١٧٤. والعيني في عمدة القاري: ٩٥/١٤ وابن جزري في التسهيل: ٢٤٤/١، والنويري في نهاية الأرب: ١٦/١٩٦، والنيسابوري في الوسيط: ٢/٢٠٩، والدميري في حياة الحيوان: ١/٧٩. والزمخشري: ١/٦٥٩، والفخر الرازي: ٦ جزء ١٢/٥٠، مع أنهما قالا غير ذلك كما تقدم! وأخذ به صاحب السيرة الحلبية: ٣/٣٢٧، واغتمم الآية لإثبات فضيلة لأبي بكر فناقض نفسه! قال: (سعد بن معاذ حرسه ليلة يوم بدر ، وفي ذلك اليوم لم يحرسه إلا أبو بكر شاهراً سيفه حين نام بالعرش) .

ويدل على بطلان هذا القول: أن الآية في سورة المائدة نزلت قبيل وفاة النبي ﷺ ، ولا يصح ربطها بالحراسة ، وعمدة أدلتهم على ذلك رواية القبة عن عائشة ، لكنها تدل على إلغاء الحراسة في المدينة ، والترمذي لم يصححها ، وضعف سندها سعيد بن منصور: ٤/١٥٠٣.

ورواية حراسة العباس للنبي ﷺ ضعفها الهشيمي. وغيرهما ليس مسنداً. لكن مهما صحت رواياتهم فالواقع يكذبها ، لأن المجمع عليه في سيرته ﷺ أنه كان يطلب من قبائل العرب أن تحميه وتمنعه من القتل لكي يبلغ رسالة ربه ، وقد بايعه الأنصار بيعة العقبة على أن يحموه ويحموا أهل بيته مما يحمون منه أنفسهم وأهليهم ، فلو كانت آية العصمة نزلت في مكة وكان معناها كما زعموا ، لما احتاج إلى ذلك ! كما أن غرض هذا القول تقليل دور أبي طالب ﷺ في نصرته النبي ﷺ وإثبات دور مميز للعباس في حمايته ، مع أن دوره كان عادياً كبقية بني هاشم الذين لم يسلموا ولم يهاجروا !

القول الثالث: أنها نزلت في المدينة ، فألقى النبي ﷺ حراسته !

وروا فيه أحاديث ، منها حديث القبة المتقدم عن عائشة . وفي الدر المنثور: ٢٩٨/٢: (أخرج الطبراني وابن مردويه عن عصمة بن مالك الخطمي قال: كنا نحرس رسول الله (ص) بالليل حتى نزلت: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فترك الحرس. وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ... قال رسول الله: لاتحرسوني إن ربي قد عصمني. وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن عبد الله بن شقيق: كان يعتقه ناس من أصحابه فلما نزلت: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فخرج فقال: يا أيها الناس إحقوا بملاحقكم ، فإن

تفسير آية التبليغ..... ٢٧

الله قد عصمني من الناس . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي أن رسول الله ما زال يحارسه أصحابه حتى أنزل الله: **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ، فترك الحرس حين أخبره أنه سيعصمه من الناس). وتاريخ المدينة: ٣٠١/١ ، عن ابن شقيق والقرظي ، والطبري: ١٩٩/٦ ، عن ابن شقيق . والطبقات: ١١٣/١ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ١٨٠/٢ .

ويدل على بطلان هذا القول ، وكل الأقوال التي ربطت نزول آية التبليغ بالحراسة ، أنها نزلت في سورة المائدة بعد الوقت الذي زعموه مضافاً إلى أن حراسته ﷺ استمرت إلى آخر عمره الشريف كما يأتي !

القول الرابع: أنها نزلت في المدينة في السنة الثانية ، بعد أحد !

في الدر المشثور: ٢٩١/٢: (أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن عطية بن سعد قال: جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله إن لي موالي من يهود كثير عددهم، وإنني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله. فقال عبد الله بن أبي: إنني رجل أخاف الدوائر ، لا أبرأ من ولاية موالي. فقال رسول الله لعبد الله بن أبي: أبا حباب أرايت الذي نفستَ به من ولاء يهود على عبادة فهو لك دونه ! قال: إذن أقبل ، فأنزل الله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**.. إلى أن بلغ إلى قوله: **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**.) انتهى.

وقصدهم أن آية التبليغ نزلت في سياق النهي عن تولي اليهود ، فيكون موضوعها النهي عن ولايتهم ، وليس وجوب ولاية علي عليه السلام .
 ويكفي لسطلان هذا القول ، أنه من كلام عطية بن سعد ولم يستده إلى النبي صلى الله عليه وآله . وهو لا يفسر: وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، مضافاً إلى عدم صحة نزول الآيات في سورة المائدة في قصة ولاء ابن سلول لليهود ، الذي توفي قبل نزول سورة المائدة بنحو ستين ! (تاريخ الطبري: ٣٨١/٢) .

القول الخامس: أنها نزلت أثر محاولة شخص اغتيال النبي صلى الله عليه وآله ،

وتناقضت روايتهم في ذلك ، فقال بعضها إن الحادثة كانت في غزوة بني أنمار المعروفة بذات الرقاع ، وإن شخصاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وطلب منه أن يعطيه سيفه ليراه ، فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله إياه بكل سهولة ! أو كان علقه وغفل عنه ، أو دلى رجله في البئر وغفل عنه... إلخ !

قال السيوطي في الدر المثور: ٢٩٨/٢: (وأخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله قال: لما غزا رسول الله (ص) بني أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل ، فبينما هو جالس على رأس بئر قد دلى رجله ! فقال غورث بن الحرث: لأقتلن محمداً ، فقال له أصحابه: كيف تقتله ؟ قال أقول له أعطني سيفك فإذا أعطانيه قتلته به ! فأتاه فقال: يا محمد أعطني سيفك أشمه ، فأعطاه إياه فرعدت يده ، فقال رسول الله: حال الله بينك وبين ما تريد ، فأنزل الله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ

رَبِّكَ..الآية. وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: كان رسول الله (ص) إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة ظليلة فيقبل تحتها، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال: من يمنعك مني؟ قال: الله ، فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منه ، قال: وضرب برأسه الشجرة حتى انتشرت دماغه فأنزل الله: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ .

وأخرج ابن حبان وابن مردويه عن أبي هريرة قال: كنا إذا صحبتنا رسول الله في سفر تركنا له أعظم دوحه وأظلمها فينزل تحتها..الخ).

ومما يدل على بطلان هذا القول ، أن غزوة ذات الرقاع كانت في السنة الرابعة من الهجرة (سيرة ابن هشام: ٢٢٥/٣) أي قبل نزول سورة المائدة بسنوات، وبعض روايات قصة غورث بلا تاريخ، وبعضها غير معقول!

على أن نزولها في قصة غورث معارض برواية مصادرهم المعتمدة ، ففي سيرة ابن هشام: ٢٢٧/٣ ، أن الآية التي نزلت في قصة غورث قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وهذا لا يصح لأن هذه الآية من سورة المائدة أيضاً! كما روى بخاري وغيره تشريع صلاة الخوف في غزوة الرقاع ، وتشديد الحراسة على النبي ﷺ حتى في الصلاة ، وهو كافٍ لرد نزول آية العصمة فيها! قال في صحيحه: ٥٣/٥: (عن جابر قال: كنا مع النبي (ص) بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها

للنبي، فجاء رجل من المشركين وسيف النبي معلق بالشجرة، فاخرطه فقال له: تخافني؟ فقال لا. قال فمن يمنعك مني؟ قال الله . فتهدده أصحاب النبي(ص) وأقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين.. إسم الرجل غورث بن الحرث). ونحوه الحاكم: ٢٩/٣، على شرط الشيخين، وفيه أن النبي ﷺ صلى بعد الحادثة صلاة الخوف بحراسة مشددة! وروى أحمد قصة غورث: ٣/٣٦٤ و ٣٩٠ و ٥٩/٤، وفيها صلاة الخوف وليس فيها نزول الآية! ومجمع الزوائد: ٨/٩، بتفصيل وليس فيها نزول الآية!

ملاحظات على تفسيرهم للآية

١- مع أن أصحاب الصحاح والسنن المعتمدة عندهم حريصون على رد مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ويعرفون أنهم يستدلون بآية التبليغ على مذهبهم، لكنهم لم يرووا أي رواية صحيحة في رد مذهبنا! مع أن بخاري عقد للآية في صحيحه بابين: في: ٨٨/٥، والثاني في: ٩/٨، وتعرض للآية في: ٥٠/٦، و: ٢١٠/٨، وكذا مسلم: ١١٠/١. وبذلك بقيت روايات الشيعة وما وافقها من روايات السنة بلا معارض من صحاحهم!

٢- شمملت رواياتهم في نزول الآية كل مدة بعثة النبي ﷺ وهجرته ما عدا حجة الوداع! فاستثناؤهم تلك الفترة وحدها، يوجب الشك في تعمدهم الهروب من سبب نزول الآية!

٣- سبب نزول الآية في مصادرنا واحدٌ، بتاريخ واحد ن على نحو

الجزم واليقين ، وفي مصادرهم أسبابٌ متعددة ، بتواريخ متناقضة ، وهم منها في شكٍّ وحيرة .

٤- رووا في سبب نزول الآية ما يوافق مذهب أهل البيت عليهم السلام ، والسبب المجمع على روايته أقوى وأحق بالإتباع من المختلف فيه .

٥- طعنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وكذبوا عليه في تفسير الآية ! فقد رأيت أحاديثهم المكذوبة ونسبته اليه صلى الله عليه وآله أفعالاً لم يفعلها ! مضافاً الى طعنهم في شخصيته صلى الله عليه وآله وأنه خاف فلم يبلغ رسالة ربه حتى طمأنه وضمن له أنه لا يقتل ! بل يدل كلامهم على أن النبي صلى الله عليه وآله لم يثق بوعده ربه ، فاتخذ الحرس طوال حياته ! وتمادى ابن حجر في الطعن بالنبي صلى الله عليه وآله فقد قال القرطبي إن صلى الله عليه وآله كان وحده في قصة غورث بدون حراسة فتكون الآية نزلت قبلها ! فأجابه ابن حجر: بل نزلت يومذاك فألغى الحرس ، أما قبلها فكان يضعف إيمانه فيتخذ الحرس ، ويقوى إيمانه فيلغيه ! وفي قصة غورث كان إيمانه قوياً فكان بلا حراسة !

قال في فتح الباري: ٧١/٦: (قال القرطبي: هذا يدل على أنه (ص) كان في هذا الوقت لا يحرسه أحدٌ من الناس، بخلاف ما كان عليه في أول الأمر فإنه كان يحرس حتى نزل قوله تعالى: **وَاللَّهُ يَعِصَمُكَ مِنَ النَّاسِ**. قلت... عن أبي هريرة قال: كنا إذا نزلنا طلبنا للنبي صلى الله عليه وآله أعظم شجرة وأظلمها، فنزل تحت شجرة فجاء رجل فأخذ سيفه فقال: يا محمد من يمنعك

مني؟ قال: الله ، فأنزل الله: **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ، وهذا إسناد حسن ، فيحتمل إن كان محفوظاً أن يقال: كان مخيراً في اتخاذ الحرس فتركه مرة لقوة يقينه، فلما وقعت هذه القصة ونزلت هذه الآية ترك ذلك) انتهى.

فاعجب لابن حجر كيف أغمض عينيه عن أن غزوة الرقاع سنة أربع ونزول الآية في سورة المائدة سنة عشر ، وراويها أبو هريرة جاء إلى المدينة سنة سبع، ويزعم أنه كان في غزوة الرقاع ونزلت الآية فيها ! فكيف يكون إسناده حسناً ! إن كل هذا التعسف لأنه يريد ربط الآية بالحراسة لإبعادها عن بيعة الغدير ! لكنه أشار على خوف من علماء السلطة الى أنه يشك في أصل الموضوع بقوله: (إن كان محفوظاً) ، ومعناه أنه يشك في أصل تفسيرهم للعصمة بالحفظ من القتل !

هذا ، وقد روى الكليني رحمته الله: ١٢٧/٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قصة غورث وفيها معجزة نبوية وليس فيها نزول آية التبليغ، قال: (نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير واد، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه ، فرآه رجل من المشركين والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل، فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمداً ، فجاء وشد على رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف ثم قال: من ينجيك مني يا محمد؟ فقال: ربي وربك فنسفه جبرئيل عن فرسه فسقط على ظهره فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ السيف وجلس على

صدره وقال: من ينجيك مني يا غورث؟ فقال: جودك وكرمك يا محمد! فتركه ، فقام وهو يقول: والله لأنت خير مني وأكرم). انتهى.

٦- لاعلاقة للعصمة في الآية بالقتل والحراسة ! فلا شك أن الله

تعالى كان يحرس نبيه ﷺ بألطفه الخاصة ، كما رأيت في قصة غورث ، وفي مواجهة قريش واليهود وعملهم المستميت لقتله منذ بعثته وحتى وفاته ﷺ ، لكنه مع ذلك كان مأموراً باستعمال الأسباب الطبيعية ، فطلب الحماية من الناس ، واتخذ الحراسة في مكة والمدينة الى آخر عمره الشريف ، ولم يُلغ الحراسة كما زعموا .

والعصمة في الآية هي العصمة من ارتداد الناس إن هو أعلن ولاية علي والعترة ﷺ ، وأن ينكروا نبوته ويقولوا إنه يريد تأسيس ملك لبني هاشم كملك كسرى وقيصر ! وكل ما قاله علماء الخلافة لإثبات أن العصمة في الآية عصمة من القتل وأن النبي ﷺ ترك الحراسة بعدها ، كذبٌ محض ، لإبعاد الآية عن ولاية علي ﷺ ! فهم يعلمون أن النبي ﷺ كان يطلب من قبائل العرب أن تحميه من القتل الذي يراود به حتى يبلغ رسالة ربه ، وأن حراسته كانت في مكة ، ثم في المدينة ، واستمرت إلى آخر حياته ﷺ ! قال اليعقوبي في تاريخه: ٣٦٧/٢: (وكان رسول الله يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، ويكلم شريف كل قوم ، لايسألهم إلا أن يؤووه ويمنعوه ويقول: لا أكره أحداً منكم

إنما أريد أن تمنعوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي ، فلم يقبله أحد ، وكانوا يقولون: قوم الرجل أعلم به !

وفي سيرة ابن هشام: ٢٣/٢: (يقف على منازل القبائل من العرب فيقول.. وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به). والطبري: ٨٣/٢، وابن كثير: ١٥٥/٢ واستمر على ذلك الى آخر عهده في مكة ، وطلب البيعة من الأنصار على حمايته وحماية أهل بيته مما يحمون أنفسهم وأهلهم .

قال ابن هشام: ٣٨/٢: (فتكلم رسول الله (ص) فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم). والطبري: ٩٢/٢، وأحمد: ٤٦١/٣ وأسد الغابة: ١٧٤/١، وابن كثير: ١٩٨/٢.. الخ.

وقد عقد المحذثون فصولاً لحراسته ﷺ وأسماء حراسه وقصصهم . قال صاحب عيون الأثر: ٤٠٢/٢: (وحرسه يوم بدر حين نام في العريش: سعد بن معاذ ويوم أحد: محمد بن مسلمة ، ويوم الخندق: الزبير بن العوام . وحرسه ليلة بنى بصفية: أبو أيوب الأنصاري بخيبر... وحرسه بوادي القرى: بلال وسعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد قيس. وكان على حرسه (مسؤولاً) عباد بن بشر). وروى بخاري في فتح مكة: ٩١/٥: (خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله... فرآهم ناس من حرس رسول الله فأدركوهم فأخذوهم). وروى أحمد: ٢٢٢/٢، حديثاً موثقاً أن أصحابه كانوا يحرسونه

في غزوة تبوك ، أي في أواخر عمره الشريف ﷺ !
ويضاف إلى ذلك أسطوانة الحرس التي ما زالت في المسجد النبوي

بهذا الإسم ، منذ عام الوفود في السنة التاسعة . (ابن هشام: ٢١٤/٤) !

فهل ينكرها المخالفون ليلبعدوا الآية عن ولاية علي عليه السلام؟! وهل
تثنيهم الأدلة عن ذلك لأنهم أشربوا الإعراض عن علي عليه السلام!؟

٧- خلاصة معنى الآية: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ: ناداه باسمه المناسب

لمهمته ، يقول له إنما أنت رسولٌ مبلغٌ ، ولست مسؤولاً عن النتيجة .

بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ: وأمرك به جبرئيل في علي عليه السلام، وحاولت

تبليغه في حجة الوداع فشوش عليك المنافقون . ولم يقل بلغ ما سوف

ينزل اليك لأنه أنزله ، ولم يبينه له لأنه بينه والنبي ﷺ يعرفه وكان

يتحين الفرصة المناسبة أو التمهيد المناسب ، فأمره الله أن يبلغه الآن .

فالماضي (أنزل) هنا حقيقي على أصله، ولا قرينة تصرفه الى المستقبل.

ولا يصح أن يكون تم تبليغه وإلا لما صح قوله: وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ، ولا

أن يكون كل الرسالة لأنه يكون بلا معنى كقولك: يا فلان بلغ رسائلي

كلها ، فإنك إن لم تفعل لم تبلغ رسائلي !

أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ: لأنه أمر من شؤون الربوبية والإدارة .

وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ: لأن ما أمرك بتبليغه مكملٌ لرسالتك

وضامنٌ لكل تبليغك ، فولاية عترتك من بعدك ليست أمراً شخصياً كما

يظنها المنافقون ، بل جزء لا يتجزأ من هذه الرسالة الخاتمة الموحدة ، وإذا انتفى الجزء انتفى الكل ، وبدونها تبقى الرسالة ناقصة والناقص لا اعتبار به ، ورسالتك كالصرح حَجْرُهُ الأخير هو الأساسه كحجره الأول.

وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ: من أن يطعن القرشيون في نبوتك بسبب هذا التبليغ الثقيل عليهم ، ويتهموك بأنك حايت أسرتك واستخلفت عترتك ، فسوف نمنعهم من أن يرفضوا نبوتك ، وسيظهرون لك الطاعة ويبايعون عليك وتمر المسألة بسلام ، إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ، فأتَمَّ الْحِجَّةَ لربك ، ثم لا إكراه في الدين ، إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ .

فخوف النبي ﷺ إنما كان على الإسلام من أن ترد عنه قريش وليس على نفسه ، وعصمته التي ضمنها الله تعالى هي حفظ نبوته عند قريش وليست عصمة من القتل أو الجرح أو الأذى ، لذلك لم تتغير حراسته ﷺ بعدها، ولا المخاطر والأذايا التي كان يواجهها بل زادت .

وقال الفخر الرازي: ٥٠/١٢: (واعلم أن المراد من الناس هاهنا الكفار بدليل قوله تعالى: وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ... لا يمكنهم مما يريدون).

ثم ذكر الرازي رواية عائشة في إلغاء النبي ﷺ الحراسة ! وكلامه لا يصح ، لأن عائشة تقصد تاريخاً قبل سورة المائدة ، ولأن لفظ الناس مطلق ولا قرينة على حصره بالكفار ، وخطر المنافقين عند نزول الآية على النبي ﷺ كان أشد من خطر غيرهم .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ: الذين يظلمون عترتك من بعدك ،
 ويبدلون نعمة الله كفرًا، ويظلمون بذلك الأمة ويقودونها الى الصراع
 على الحكم ويسببون انهيارها ، الى أن يبعث الله المهدي من ولدك !
 فالذين يطعنون في النبي ﷺ ويتهمونه بأنه ينطق عن الهوى ويحابي
 عترته ، هم كما قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: (ما أسلموا ولكن استسلموا
 وأسروا الكفر ، فلما وجدوا عليه أتباعاً أظهروه) ! (مجمع الزوائد: ١١٣/١) فلا
 يستحقون أن يهديهم الله ! لذلك ضمن إسكاتهم حتى يبلغ رسوله
 رسالته ويتم الحجة عليهم ! وقد وفى الله لرسوله ﷺ بما وعد ، فأعلن
 النبي ﷺ يوم الغدير خلافة علي والعترة عليه السلام بصراحة ، وأمرهم أن
 يهتؤوه بتولية الله عليهم ، ففعلوا على كره ، ولم يطعن أحد منهم في
 نبوته ﷺ ! لكنهم عند وفاته ﷺ أقصوا علياً والعترة، وفعلوا ما فعلوا !

والنتيجة: أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يطلب الحماية من الناس
 لتبليغ رسالته ، على سنته عز وجل في أنبيائه عليهم السلام ، فحصل عليها من
 الأنصار، وكان يحمي نفسه بالحراسة . وقد نصره الله وهزم أعداءه
 المشركين واليهود ، وشملت دولته الجزيرة العربية الى أكراف الشام
 واليمن والبحرين وساحل الخليج . وصار جيشه يهدد الروم في الشام
 فلسطين ، وها هو ﷺ في السنة العاشرة يودع المسلمين ويتلقى آية
 تأمره بالتبليغ وتطمئنه بالعصمة من الناس ! فما عدا مما بدا ، حتى نزل

الأمر بالتبليغ في آخر التبليغ ! وصار النبي ﷺ الآن وهو قائد الدولة القوية بحاجة إلى حماية وعصمة من الناس؟! إنها ليست الحماية المادية، فقد وفرها الله له بالأسباب الطبيعية والطفاه على أحسن وجه . لكن تبليغه ﷺ لرسالة ربه في عترته ﷺ يحتاج الى حماية من قريش لأنها عنيفة في حب السلطة وشرسة من أجلها ! فمصدر الخطر على ترتيب النبي ﷺ لخلافته كان محصوراً في قريش وحدها لا غير ! فلا قبائل العرب ولا اليهود ولا النصارى ، يستطيعون التدخل في هذا الأمر الداخلي وإعطاء الرأي فيه ، فضلاً عن عرقلة تبليغه أو تنفيذه !

وكأن النبي ﷺ كان آيساً من إمكانية تنفيذ الموضوع ، فهو يعرف طبيعة قريش وتعقيدها النفسي وإغراقها في المادية والمرآغة ، كقبائل اليهود الماديين المعقدين، الذين عانى منهم موسى والأنبياء ﷺ! لذلك أمره الله أن يتم عليهم الحجّة ، وطمأنه بعصمته من ارتدادهم .



آية إكمال الدين مع سياقها

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنَقَةُ وَالْمَوْثُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فُسُوقُ الْيَوْمِ يَسِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا إِسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ). (المائدة: ١-٤).

هل نزلت الآية في وسط أحكام اللحوم!؟

أول ما يفاجؤك غرابة مكان الآية ! فقد رووا أنها نزلت في حجة الوداع آية مستقلة لاجزاء آية ، وها هي في القرآن جزء من آية اللحوم

وكأنها حشرت حشراً فيها ، بحيث لو رفعتها لما نقص من معنى الآية شئ ، بل اتصل السياق !

ثم كيف نفسر هذا التناقض حيث قال سبحانه: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ، أي **تَمَّتْ** الأحكام ، ثم يقول بعدها: **فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ**.. ثم يواصل تنزيل أحكام اللحوم ، والصيد ، وطعام أهل الكتاب ، وأحكام الزواج والنساء ! فكيف أكمل دينه، ولم يكمله؟!!

قال في الدر المنثور: ٢/٢٥٧ و ٥٩: (عن ابن عباس.. فلما كان واقفاً بعرفات نزل عليه جبريل وهو رافع يده والمسلمون يدعون الله: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**، يقول حلالكم وحرامكم فلم ينزل بعد هذا حلالاً ولا حراماً.. عن السدي في قوله: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ، قال: هذا نزل يوم عرفة فلم ينزل بعدها حراماً ولا حلالاً). فهل السياق بأمر النبي ﷺ أم أن الآية وضعت هنا في وسط آية ، باجتهاد بعض الصحابة؟!!

باختصار: حيث لا توجد قرينة داخلية أو خارجية على اتصال السياق هنا ، فلا يمكن ربط الآية بما قبلها أو بعدها .

الأقوال الثلاثة في تفسير آية إكمال الدين

١- قول أهل البيت عليه السلام: أنها نزلت يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة ، في رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع ، عندما أمره الله

تعالى أن يوقف المسلمين في غدير خم ويبلغهم ولاية علي عليه السلام ، فأوقفهم وبلغهم ما أمره به ربه . وهذه نماذج من أحاديثهم عليهم السلام :

ما تقدم من الكافي: ٢٨٩/١، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل: أَيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، قال أبو جعفر عليه السلام: يقول الله عز وجل: لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض). وفي الكافي: ١٩٨/١: (عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرو ، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا ، فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه ، فتبسم عليه السلام ثم قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم ، إن الله عز وجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين ، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء ، بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام ، وجميع ما يحتاج إليه الناس كمالاً فقال عز وجل: مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ، وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: أَيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا، وأمر الإمامة من تمام الدين ، ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق ، وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً ، وما ترك شيئاً تحتاج إليه

الأمة إلا بينه ، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ، ومن رد كتاب الله فهو كافر به ! هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم؟! إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم... إن الإمامة خصَّ الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبةً ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره فقال: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**، فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: **وَمِنْ ذُرِّيَّتِي؟** قال الله تبارك وتعالى: **لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ، فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة عليهم السلام..).

٢- قول السنين الموافق لأهل البيت عليهم السلام: وقد رواه حديث

الغدير بعشرات الروايات وفيها صحاح من الدرجة الأولى، جمعها بعض علمائهم كالطبري المؤرخ في كتابه (الولاية) فبلغت طرقها ونصوصها مجلدين ، وابن عقدة وابن عساكر وغيرهم . وتنص على أن النبي صلى الله عليه وآله دعا علياً وأصعده معه على المنبر ورفع يده حتى بان بياض إبطيهما وبلغ الأمة ما أمره الله تعالى فيه ، وأمر المسلمين أن يهتؤوه ويبايعوه ، وقال له عمر بن الخطاب لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة!... إلخ . ونص بعضها على أن آية إكمال الدين نزلت يومها بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله . لكن أن أكثر علمائهم لم

يقبلوا أحاديث نزولها يوم الغدير ، مع أنهم صححوا أحاديث الغدير ، والسبب أنهم أخذوا بقول عمر ومعاوية، أنها نزلت يوم عرفة ! فحديث الغدير عندهم محل إجماع ونزول آية إكمال الدين فيه محل خلاف .

أما علمائنا فجمع عدد منهم أحاديث الغدير وآياته ، ومن أشهرهم: السنقوي الهندي في عبقات الأنوار ، والسيد المرعشي في شرح إحقاق الحق ، والسيد الميلاني في نفحات الأزهار ، والشيخ الأميني في كتابه الغدير ، وقد أورد عدداً من روايات السنين في نزول الآية يوم الغدير وهذه خلاصة ما ذكره عليه السلام: (ومن الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين عليه السلام قوله تعالى: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**. ثم أورد عدداً من المصادر التي روتها، منها:

١ - الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب (الولاية) بإسناده عن زيد بن أرقم نزول الآية الكريمة يوم غدير خم في أمير المؤمنين عليه السلام...

٢ - الحافظ ابن مردويه الأصفهاني ، من طريق أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ... ثم رواه عن أبي هريرة .

٣ - الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، في كتابه (ما نزل من القرآن في علي) ... عن أبي سعيد الخدري: أن النبي (ص) دعا الناس إلى علي في غدير خم ، وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فقم ، وذلك يوم الخميس فدعا علياً فأخذ بضبعيه فرفعهما ، حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله ، ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**.. الآية. إلخ .

- ٤ - الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه: ٢٩٠/٨، عن أبي هريرة عن النبي (ص): من كنت مولاة فعلي مولاة ، فقال عمر بن الخطاب: يخ يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ، فأنزل الله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.. الآية .
- ٥ - الحافظ أبو سعيد السجستاني، في كتاب الولاية ، عن أبي سعيد الخدري ...
- ٦ - أبو الحسن ابن المغازلي الشافعي ، في مناقبه عن أبي هريرة ...
- ٧ - الحافظ الحاكم الحسكاني، عن أبي سعيد الخدري: إن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، قال: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي .
- ٨ - الحافظ ابن عساكر الشافعي الدمشقي ، بطريق ابن مردويه، عن أبي سعيد وأبي هريرة . (الدر المثور: ٢/٢٥٩).
- ٩ - أخطب الخطباء الخوارزمي، في المناقب ٨٠/... عن أبي سعيد الخدري أنه قال: إن النبي ﷺ يوم دعا الناس إلى غدير خم أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقمّ ، وذلك يوم الخميس ثم دعا الناس إلى علي ، فأخذ بضعه فرفعها حتى نظر الناس إلى إبطيه ، حتى نزلت هذه الآية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.. الآية... وروى في المناقب/٩٤.
- ١٠ - أبو الفتح النطنزي روى في كتابه الخصائص العلوية ، عن أبي سعيد الخدري وجابر الأنصاري ...
- ١١ - أبو حامد سعد الدين الصالحاني ، عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ بغدير خم ، فقال رسول الله: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالي والولاية لعلي . رواه الصالحاني .
- ١٢ - شيخ الإسلام الحموي الحنفي ، روى في فرائد السمطين). (الغدیر: ١/٢٣٠).

٣- قول عمر ومعاوية أنها نزلت يوم عرفة

وهو القول المشهور عند السنيين، رواه بخاري في صحيحه: ١٦٧/١: أن رجلاً من اليهود قال لعمر: (يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً! قال: أئنه آية؟ قال: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً. قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي (ص) وهو قائم بعرفة، يوم الجمعة). ونحوه في: ١٢٧/٥، وفيه: (وهو واقف في عرفة... قالت اليهود لعمر: إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً! فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت، وأين رسول الله (ص) حين أنزلت، يوم عرفة وأنا والله بعرفة. قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة، أم لا). وفي بعضها أن اليهودي كعب الأحبار.

وقلدت مصادر السنيين الرسمية رواية بخاري هذه، وتعصب لها علماءهم، ولم يصغوا لرد النسائي وسفيان الثوري وغيرهما أن يكون يوم عرفة في حجة الوداع يوم الجمعة! ولا لرواياتهم الصحيحة المتقدمة المؤيدة لرأي أهل البيت (عليهم السلام)! فيكفي عندهم أن يقول عمر إنها لم تنزل يوم الغدير، بل في عرفات قبل الغدير بتسعة أيام، فهو مقدم على كل اعتبار!

قال السيوطي في الإتقان: ٧٥/١، في الآيات التي نزلت في السفر: (منها: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** . في الصحيح عن عمر أنها نزلت عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع، وله طرق كثيرة لكن أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري: أنها نزلت يوم غدیر خم . وأخرج مثله من حديث أبي هريرة ، وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة مرجعه من حجة الوداع. وكلاهما لا يصح). ونحوه الدر المنثور: ٢/٢٥٩.

أما لماذا لا يصح فلأنه عمر قال غيره ! وهذا هو الموقف العام لمذاهب الخلافة ، فهم يقولون بصحة حديث الغدير، لكن الآية نزلت قبله ولم تنزل فيه ، حتى لو خالفه الحساب والتاريخ والجغرافيا ! ومن المتعصبيين لرأي عمر في الآية: ابن كثير ، وخلاصة كلامه في تفسيره: ١٤/٢: (عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة ، ولم ينزل بعدها حلالاً ولا حراماً . وقال ابن جرير وغير واحد: مات رسول الله (ص) بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً ، رواهما ابن جرير) .

ثم ذكر ابن كثير رواية مسلم وأحمد والنسائي والترمذي المتقدمة وقال: (قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا . وشك سفيان رضي الله عنه إن كان في الرواية فهو تورعٌ حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا ، وإن كان شكاً في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم جمعة فهذا ما أخاله يصدر عن الثوري فإن هذا أمر معلومٌ مقطوعٌ به لم يختلف فيه أحدٌ من أصحاب

المغازي والسير ولا من الفقهاء ، وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحتها والله أعلم . وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر وقال ابن جرير.. عن قبيصة يعني ابن أبي ذئب قال: قال كعب: لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه ! فقال عمر: أي آية يا كعب؟ فقال: اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي أنزلت فيه نزلت في يوم الجمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيداً... وقال ابن جرير.. حدثنا عمرو بن قيس السكوني أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر يتنزع بهذه الآية: اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، حتى ختمها فقال: نزلت في يوم عرفة ، في يوم الجمعة.. وقال ابن جرير: وقد قيل ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس ! ثم روى من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، يقول ليس بيوم معلوم عند الناس . قال: وقد قيل إنها نزلت على رسول الله (ص) في مسيره إلى حجة الوداع) . ثم قال ابن كثير: (قلت: وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت على رسول الله (ص) يوم غدیر خم حين قال لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه . ثم رواه عن أبي هريرة ، وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعه (ص) من حجة الوداع . ولا يصح لاهذا ولا هذا بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية أنها أنزلت يوم عرفة وكان يوم الجمعة كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأول ملوك

الإسلام معاوية بن أبي سفيان ، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وسمرة بن جندب ، وأرسله الشعبي ، وقتادة بن دعامة ، وشهر بن حوشب، وغير واحد من الأئمة والعلماء ، واختاره ابن جرير). انتهى.

وتلاحظ أن ابن كثير لا يريد الإعتراف بوجود تشكيك في أن يوم عرفة كان يوم جمعة لأن ذلك يخالف قول عمر ، ولذلك التف على نفي سفيان الثوري معتذراً بأنه تقوى واحتياط من الثوري ! ولم يذكر ما رواه النسائي، والطبري في تفسيره: ١١١/٤، قال: (ثنا داود قال قلت لعامر: إن اليهود تقول: كيف لم تحفظ العرب هذا اليوم الذي أكمل الله لها دينها فيه؟ فقال عامر: أو ما حفظته؟ قلت له: فأى يوم؟ قال: يوم عرفة أنزل الله في يوم عرفة ! وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية أعني قوله: اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، يوم الإثنين وقالوا: أنزلت سورة المائدة بالمدينة. ذكر من قال ذلك... عن ابن عباس... وأنزلت سورة المائدة يوم الإثنين: اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ..).

آية إكمال الدين نزلت يوم الغدير وليس في عرفات !

نشكر الله أن المحدثين رووا كثيراً عن الوداع الرسولي المهيب ، الذي تم بإعلان رباني مسبق ، وإعداد نبوي واسع ، وإن كانوا ضيعوا في أحاديثه هوية الأئمة الإثني عشر ، وكثيراً مما يتعلق بالعترة عليهم السلام .
وقد سجلوا حركة النبي صلى الله عليه وآله من المدينة ، والأماكن التي مر بها أو توقف فيها ، ومتى دخل مكة وأدى المناسك ، ثم حركة رجوعه صلى الله عليه وآله

حتى دخل إلى المدينة ، وعاش فيها نحو شهرين هي بقية عمره الشريف ﷺ. وكله يؤكد قول أهل البيت ﷺ، ونجمل ذلك في نقاط:
أولاً: إن التعارض بين ما دلَّ على سبب نزول الآية ، ليس بين
 حديثين أحدهما أصح سنداً وأكثر طرقاتاً ، كما صور أو تصور ابن كثير والسيوطي والطبري وغيرهم ، بل تعارضٌ بين حديث نبوي رواه أهل البيت ﷺ وعدد من الصحابة ، وبين قولٍ لعمر ومعاوية رواه عنه بخاري وغيره ولم يسندوه إلى النبي ﷺ !

ولو تنزلنا وقلنا إن أحاديث أهل البيت أقوال لهم ﷺ يكون التعارض بين قول صحابي وقول أئمة أهل البيت ﷺ، ولا شك في أن قولهم مقدم بحكم وصية النبي ﷺ بهم وأنهم عدلُ القرآن وأحد الثقلين ، بالحديث الصحيح المتواتر، كالذي رواه أحمد: ١٤/٣: (عن أبي سعيد قال رسول الله (ص): إني تاركٌ فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض). ورواه أيضاً في: ١٧/٣ و ٢٦ و ٥٩، و ٣٦٦/٤، و ٣٧١، والدارمي: ٤٣١/٢، ومسلم ١٢٢/٧، والحاكم على شرط الشيخين ، و: ١٠٩/٣ و ١٤٨، وغيرهم.

ثانياً: إن جواب عمر لليهودي غير مقنع لليهودي ولا للمسلم ! لأنه إن قصد أن نزولها صادف يوم الجمعة ويوم عرفة ! فيقول له اليهودي: إن كان ربكم لا يعلم أنه يوم عيد فيا ويلكم من عبادته ! وإن يعلم

فكيف أنزل عيد إكمال الدين على عيد أو اثنين ، وهو يعلم أنهما سيأكلانه؟! فلماذا خرّب عليكم ربكم هذا العيد؟!

وإن قصد عمر أن عيد إكمال الدين أدغم وصار مشتركاً في يوم واحد مع عيد عرفة والجمعة ، فأين هو إلا عند الشيعة؟!

وأسوأ من ذلك أن يكون قصده أنه تعالى تعمد تزويب عيد إكمال الدين ، أو نسي فأنزله في يوم عيد ، فتدارك المسلمون الأمر بالدمج والإدغام أو التنصيف ! فمن الذي اتخذ قرار الإدغام ؟ ومن يحق له أن يدغم عيداً إلهياً في عيد آخر ، أو يطعم عيداً ربانياً لعيد آخر؟!

وما بال الأمة الإسلامية لم يكن عندها خبر بحادثة اصطدام الأعياد في عرفات حتى جاء هذا اليهودي في خلافة عمر ونبههم ، فأخبره عمر بأنه يوافقه على كل ما يقوله ، وأخبر المسلمين بقصة تصادم الأعياد في عرفات ، وأن الحكم الشرعي فيه الإدغام لمصلحة العيد السابق ، أو إطعام العيد اللاحق للسابق !

وهل هذه الأحكام للأعياد أحكاماً إسلامية ربانية ، أم عمرية اعتبارية شبيهة بقانون تصادم الأعياد الوطنية والدينية ، أو تصادم السيارات؟!

لقد اعترف عمر بالمشكلة التي طرحها اليهودي ، لكنه لم يحلها !

ثم رتب عليها أحكاماً من عنده لم يقل إنه سمعها من النبي ﷺ !

وأصل مشكلته أنه اعترف بأن يوم نزول الآية يوم عظيمٌ ومهمٌ في

دين الإسلام، لأنه يوم أكمل الله فيه تنزيل الإسلام وأتمَّ فيه النعمة على أمته ، وأنه يستحق أن يكون عيداً شرعياً للأمة تحتفل فيه وتجتمع فيه كبقية أعيادها الشرعية الثلاث: الفطر والأضحى والجمعة ، بل ادعى أنه عيد فعلاً ! ووافق كعباً على أنه لو كان عند أمة أخرى لأعلنته عيداً ربانياً شرعياً. وعليه يجب أن يكون عيد إكمال الدين شرعياً في فقه السنين، يضاف إلى عيدي الفطر والأضحى وعيد الجمعة ، فأين هو ؟!

ثالثاً: إن قول عمر في الآية مردود لأنه متناقض ! فقد فهم هذا اليهودي من الآية أن الله أكمل تنزيل الإسلام وختمه يوم نزول الآية وقبل عمر منه هذا التفسير ، ومعناه أن نزولها بعد نزول جميع الفرائض والأحكام ، فصح عنده ما قاله أهل البيت عليهم السلام وما قاله السدي وابن عباس وغيرهما من أنه لم تنزل بعدها فريضة ولا حكم .

ثم قال عمر وبسند صحيح: لكن نزل بعدها آيات الكلاله وأحكام الإرث وغيرها ، كما يأتي في بحث آخر ما نزل من القرآن ، فوجب أن يقول لليهودي: ليست الآية آخر ما نزل ليكون يومها عيداً !

ومن ناحية ثانية، فتح عمر على نفسه وأتباعه فقهاء المذاهب المطالبة بعيد الآية ! الذي لاعين له ولا أثر ولا إسم ولا رسم عندهم ! ومن ناحية ثالثة ، نقض عمر إجماع المسلمين على أن الأعياد الإسلامية توقيفية ، ولا يجوز لأحد أن يشرع عيداً من نفسه؟!

فحجة الشيعة في جعل يوم الغدير عيداً أنهم رووا عن النبي ﷺ أن يوم الآية عيدٌ شرعي، وأن جبرئيل أخبره بأن الأنبياء ﷺ كانوا يأمرون أممهم أن تتخذ يوم نصب الوصي عيداً. فما هي حجة عمر في تأييد كلام اليهودي وموافقته على أن ذلك اليوم يستحق أن يكون عيداً شرعياً للأمم! ثم أخذ يعتذر له بمصادفة نزولها في يوم عيد.. الخ!

فإن كان حكمٌ بذلك من عند نفسه فهو تشريع وبدعة! وإن كان سمعه من النبي ﷺ فلماذا لم يروه ولا رواه غيره، إلا الشيعة!؟

والواقع أن عمر تورط في (آية علي بن أبي طالب) من نواح عديدة ولم يخرج من ورطتها، ولا أتباعه، إلى يومنا هذا!

رابعاً: الرواية عن عمر متعارضة، وهذا يوجب سقوطها، فقد رووا عنه بسند صحيح أن يوم عرفة كان يوم خميس! (قال يهودي لعمر: لو علينا نزلت هذه الآية لاتخذناه عيداً: اليَوْمُ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ! قال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت فيه واللييلة التي أنزلت، ليلة الجمعة ونحن مع رسول الله بعرفات)! رواه النسائي: ٢٥١/٥، وروى في: ١١٤/٨، أنها نزلت في عرفات يوم جمعة!

خامساً: جزم سفیان الثوري جازماً أن يوم عرفة في حجة الوداع لم يكن يوم جمعة! قال بخاري في روايته: (قال سفیان وأشك كان يوم الجمعة أم لا). وإنما قال (وأشك) مداراة لجماعة عمر الذين رتبوا كل

أحداث حجة الوداع وأحداث التاريخ الإسلامي على أن يوم عرفات كان يوم جمعة ! وستأتي رواية النسائي في ذلك وتوافقها روايات نصت على أن الآية نزلت يوم الإثنين، ففي دلائل البيهقي: ٢٣٣/٧: (عن ابن عباس قال: ولد نبيكم ﷺ يوم الإثنين ، ونبئ يوم الإثنين ، وخرج من مكة يوم الإثنين ، وفتح مكة يوم الإثنين ، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ، وتوفي يوم الإثنين). قال في الزوائد: ١٩٦/١: (رواه أحمد والطبراني في الكبير وزاد فيه: وفتح بدرأ يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات من أهل الصحيح).

وعلة الحديث عندهم مخالفته لعمر، وليس ابن لهيعة الذي وثقه عدد منهم ، وللحديث طرقٌ بدون ابن لهيعة ، وقد صرح بذلك السيوطي وابن كثير ! قال في سيرته: ١٩٨/١: (تفرد به أحمد ورواه عمرو بن بكير عن ابن لهيعة ، وزاد: نزلت سورة المائدة يوم الإثنين: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ، وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به ، وزاد أيضاً: وكانت وقعة بدر يوم الإثنين . وممن قال هذا يزيد بن حبيب ، وهذا منكرٌ جداً ! قال ابن عساكر: والمحفوظ أن بدرأ ونزول: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**، يوم الجمعة، وصدق ابن عساكر). ومعنى (منكر) أنه مخالف لعمر ، ومعنى (المحفوظ) أي الرسمي الذي يُدرّسونه لرواتهم !

واخيراً، إن إشكالنا عليهم بأحاديث نزول الآية يوم الإثنين ، إلزامٌ لهم بما صححوه ، وإلا فالمعتمد عندنا أنها نزلت يوم الخميس الثامن عشر من ذي

الحجة وأن وفاته ﷺ كانت في الثامن والعشرين من صفر ، فتكون الفاصلة بينهما نحو سبعين يوماً. وعندنا أن بعثته ﷺ كانت يوم الإثنين وصلى عليّ ﷺ معه يوم الثلاثاء ، ووفاته ﷺ يوم الإثنين، وقد تكون سورة المائدة نزلت يوم الإثنين أي أكثرها ، ثم بقيتها ومنها آيتا التبليغ وإكمال الدين .

سادساً: أن عيد المسلمين يوم الأضحى وليس عرفة، لكن عمر جعله يوم عرفة ، وهو بميزان الوهاية بدعة ! فعلى رواية النسائي أن الآية نزلت ليلة عرفة ، لا يبقى عيد حتى يصطدم به العيد النازل ، ولا يحتاج الأمر إلى إدغام الأعياد أو تنصيفها ، كما ادعى عمر !

سابعاً: لو كان يوم عرفة يوم جمعة كما صححوا عن عمر ، لصلى النبي ﷺ بالمسلمين صلاة الجمعة، بينما لم يرو أحد أنه صلاها في عرفات ، وأجمعوا على أنه صلى الظهر والعصر كالنسائي وغيره ! وقد وضع في سننه: ٢٩٠/١، عنواناً باسم (الجمع بين الظهر والعصر بعرفة) روى فيه عن جابر بن عبد الله قال: (سار رسول الله (ص) حتى أتى عرفة... ثم أذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً!) وفي رواية أبي داود: ٤٢٩/١: (فجمع بين الظهر والعصر)..

فلو كان عرفة يوم جمعة ولم يصلها النبي ﷺ لذكر ذلك ألوف المسلمين الذين حضروا حجة الوداع !

ثامناً: تورط علماء الجرح والتعديل السنيون في حديث أبي هريرة

الذي رواه الخطيب والحسكاني وابن عساكر وابن المغازلي وابن كثير والخوارزمي بأسانيد عن أبي هريرة، في أن آية إكمال الدين نزلت يوم غدیر خم بعد خطبة النبي ﷺ ووصيته الأمة بالقرآن والعترة ، وبعد أن رفع يد علي عليه السلام وأعلنه خليفة من بعده ! فقد روى أبو هريرة أن النبي ﷺ أمرهم أن يصوموا ذلك اليوم شكراً لله تعالى، قال: (من صام يوم ثمانى عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدیر خم لما أخذ النبي (ص) بيد علي بن أبي طالب فقال: ألسنت ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله . قال: من كنت مولاه فعلى مولاه .

فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ! فأنزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا . (تاريخ دمشق: ٤٢/٢٣٣، وغيره).

وسبب تحيرهم أنهم لا يمكنهم الطعن في سند الحديث ، لأن رجاله موثقون من رجال الصحاح ! ولا يمكنهم قبوله لأن عمر أنكر أن تكون الآية نزلت في يوم الغدير وقال نزلت قبله بأيام ! بينما أبو هريرة ينسف كل ذلك وينسف السقيفة ويقول: نزلت ولاية علي من الله تعالى وبلغها النبي ﷺ فنزلت آية إكمال الدين ، وهنأه عمر وبخخ له !

وعادة المتعصبيين لعمر عندما يقعون في مأزق أن يفقدوا توازنهم ويردوا الحديث النبوي المخالف لقول عمر حتى (دفعاً بالصدر) وهو

مصطلح لمن رد حديثاً بلا حجة تشبيهاً له بمن يدفع أحداً في صدره !
ويصفون الحديث بأنه منكر أو مكذوب لأنه يخالف قول عمر، كما
فعل الذهبي وابن كثير ! قال السيد حامد التقوي في خلاصة عبقات
الأنوار: ٢٤٦/٧: (روي حديث صوم يوم الغدير بطريق صحيح رجاله
كلهم ثقات ، فقد أخرج الحافظ الخطيب ، عن عبد الله بن علي بن
محمد بن بشران ، عن علي بن عمر الدار قطني ، عن أبي نصر حبشون
الخلال ، عن علي بن سعيد الرملي، عن ضمرة بن ربيعة ، عن عبد الله
بن شوذب، عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال:
من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو
يوم غدير خم.. الخ.) . وعدّد الأئمة في الغدير: ٢٣٦/١ ، ستة عشر من
علماء السنة رووا الحديث ، وقال: (رواية أبي هريرة صحيحة الإسناد عند
أساتذة الفن ، منصوص على رجالها بالتوثيق... وحديث أبي سعيد له طرق
كثيرة كما مر في كلام الحموي في فرائده ، على أن الرواية لم تختص بأبي
سعيد وأبي هريرة فقد عرفت أنها رواها جابر بن عبد الله ، والمفسر التابعي
مجاهد المكي ، والإمامان الباقر والصادق صلوات الله عليهما ، وأسد إليهم
العلماء مخبتين إليها... وقد سمعت عن السيوطي نفسه في دره المتثور رواية
الخطيب وابن عساكر وعرفت أن هناك جمعاً آخرين أخرجوها بأسانيدهم
مثل الحاكم النيسابوري ، والحافظ البيهقي ، والحافظ ابن أبي شيبة ،

والحافظ الدارقطني ، والحافظ الديلمي ، والحافظ الحداد وغيرهم ، كل ذلك من دون غمز فيها من أي منهم). انتهى. فكلام ابن كثير وشيخه الذهبي غير صحيح ، أما العجلوني (كشف الخفاء: ٢٥٨/٢) فكان أكثر إنصافاً منهما فنقل تكذيب الذهبي للحديث بدليل واه ولم يؤيده ولا ذكر أسانيد الصحيحة ! أما من طرقنا فروته مصادرنا المعتبرة، كأماالي الصدوق/ ٥٠ ، والكافي: ٤/١٤٨ ، ونحوه الفقيه: ٢/٩٠ ، وتهذيب الأحكام: ٤/٣٠٥ ، وثواب الأعمال/ ٧٤ .

تاسعاً: قالت بعض رواياتهم إن النبي ﷺ عاش بعد نزول الآية إحدى وثمانين ليلة، وهذا ينبغي أن يكون يوم عرفة يوم الجمعة ! فوفاة النبي ﷺ عندهم في الثاني عشر من ربيع الأول، فيكون من ٩ ذي الحجة إلى ١٢ ربيع الأول أكثر من تسعين يوماً ! فإما أن يوافقونا على رواية وفاته قبل ذلك وأنها في ٢٨ صفر ، أو يوافقونا على نزول الآية يوم الغدير ١٨ ذي الحجة ! قال في الدر المشور: ٢/٢٥٩: (عن ابن جريح قال: مكث النبي (ص) بعد ما نزلت هذه الآية إحدى وثمانين ليلة ، قوله: اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ). ونحوه البيهقي في شعب الإيمان: ٢/٢٥٧. وفي تلخيص الحبير بهامش مجموع النووي: ٣/٧: عن ابن جريح أنه (ص) لم يبق بعد نزول قوله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم ، إلا إحدى وثمانين ليلة . والطبراني في الكبير برقم ١٢٩٨٤ ، وتفسير الطبري: ٤/١٠٦٧ ، عن ابن جريح قال: مكث النبي ﷺ بعد ما نزلت هذه الآية إحدى وثمانين ليلة . وراجع الغدير: ١/٢٣٠ .

عاشراً: القول بأن يوم عرفة كان يوم الجمعة ، تنفيه الروايات التي سجلت حركة النبي ﷺ من المدينة وأنها كانت الخميس لأربع بقين

من ذي القعدة. وهو المشهور عن أهل البيت عليهم السلام وهو منسجم مع تاريخ نزول الآية في يوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجة . فسفر النبي صلى الله عليه وآله كان يوم الخميس السابع والعشرين من ذي القعدة ، لأربع بقين من ذي القعدة هي: الخميس والجمعة والسبت والأحد.. فيكون أول ذي الحجة الإثنين، ووصول النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة عصر الخميس سلخ الرابع من ذي الحجة كما نصت رواية الكافي: ٢٤٥/٤ ، ويوم عرفة الثلاثاء ، والغدير الخميس الثامن عشر من ذي الحجة . ففي الوسائل ٣١٨/٩: (خرج رسول الله صلى الله عليه وآله لأربع بقين من ذي القعدة، ودخل مكة لأربع مضين من ذي الحجة ، دخل من أعلى مكة من عقبة المدنيين، وخرج من أسفلها).

وفي الكافي: ٢٤٥/٤: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حج رسول الله صلى الله عليه وآله عشرين حجة... إن رسول الله أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم أنزل الله عز وجل عليه: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، فأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يحج في عامه هذا ، فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب... فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في أربع بقين من ذي القعدة فلما انتهى إلى ذي الحليفة زالت الشمس فاغتسل... حتى انتهى إلى مكة في سلخ أربع من ذي الحجة فطاف بالبيت سبعة أشواط). وفي المسترشد ١١٩: (عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا

الناس إلى علي عليه السلام بغدير خم وأمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقمَّ ، وذلك يوم الخميس ، ثم دعا الناس وأخذ بضبعيه ورفع حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه ، ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتى وبالولاية لعلى من بعدى** . انتهى .

ويؤيد قول أهل البيت عليهم السلام رواية عيون الأثر: ٣٤١/٢ ، أن سفر النبي صلى الله عليه وآله كان الخميس ، وما روته مصادر الفريقين من أنه صلى الله عليه وآله كان لا يبدأ سفره إلا يوم خميس ، أو قلما يبدوه في غيره . (بخاري: ٦/٤ ، وأبو داود: ٥٨٦١).

ويؤيده روايتهم عن جابر أن حركته صلى الله عليه وآله كانت لأربع بقين من ذي القعدة كما في سيرة ابن كثير . وأن بخاري وأكثر الصحاح رَووا أن سفره صلى الله عليه وآله كان لخمسة بقين من ذي القعدة بدون تحديد يوم . راجع صحيح بخاري: ١٤٦٢ و ١٨٤ و ١٨٧ و ٧/٤ وفيه: وقدم مكة لأربع ليال خلون من ذي الحجة ، والنسائي: ١٥٤/١ و ٢٠٨ و ١٢١/٥ ، ومسلم: ٣٢/٤ ، وابن ماجه: ٩٩٣/٢ ، والبيهقي: ٣٣/٥ ، وغيرها .

ويؤيده أن مدة سيره صلى الله عليه وآله من المدينة إلى مكة لاتزيد على ثمانية أيام وذلك بملاحظة الطريق الذي سلكه ، وهو في حدود ٤٠٠ كيلومتراً وملاحظة سرعة السير حتى أن بعض الناس شكوا له تعب أرجلهم فعلمهم النبي صلى الله عليه وآله أن يشدوها ! وأن أحداً لم يرو توقفه في طريق مكة

٦٠ تفسير آيات الغدير الثلاث

أبداً . وبذلك تسقط رواية خروجه من المدينة لست ببقين من ذي الحجة ، كما في عمدة القاري، وإرشاد الساري، وهامش الحلبيّة: ٢٥٧/٣ لأنها تستلزم أن تكون مدة السير إلى مكة عشرة أيام !

وبهذا يتضح تكلف المخالفين حيث اعتمدوا رواية (خمس بقين من ذي القعدة) وحاولوا تطبيقها على يوم السبت ليجعلوا أول ذي الحجة الخميس، ويجعلوا يوم عرفة يوم الجمعة تصديقاً لقول عمر ! بل كانوا ملكيين أكثر من الملك لأنه روي عنه أنه الخميس . لاحظ ابن سعد في الطبقات: ١٢٤/٢، والواقدي في المغازي: ١٠٨٩/٢، وتاريخ الطبري: ١٤٨/٣، وتاريخ الذهبي: ٢/٧٠١، وهامش السيرة الحلبيّة: ٣/٣، وغيرهم . وقد حاول ابن كثير الدفاع عن هذا القول الحكومي ، وارتكب التكلف والمصادرة ، راجع سيرته: ٢١٧/٤ .

والنتيجة: أن القول بنزول آية إكمال الدين في يوم عرفة ، ترد عليه إشكالاتٌ عديدةٌ ، في منطقته وتاريخه وتوقيتته ، وكلها تستوجب تركه وعدم الأخذ به ، فيكون رأي أهل البيت عليهم السلام ومن وافقهم في سبب نزولها بدون معارض معتد به ، لأن المعارض الذي لا يستطيع النهوض كعدمه ، والتمن الكسبح لا ينهضه السند الصحيح !

عيد الغدير عيدٌ سنِّيٌّ أيضاً

ختاماً: إن المجمع عليه عند المسلمين أن يوم نزول الآية عيدٌ إلهيٌّ عظيم (عيد إكمال الدين وإتمام النعمة). بل ورد عن أهل البيت عليهم السلام أنه

أعظم الأعياد الإسلامية على الإطلاق ، ودليله المنطقي أن العيد الأسبوعي للمسلمين مرتبط بصلاة الجمعة ، وعيد الفطر بعبادة الصوم، وعيد الأضحى بعبادة الحج . أما هذا العيد فهو مرتبط بإتمام الله تعالى نعمة الإسلام كله على الأمة، وقد تحقق في رأي السنين بتنزيل أحكام الدين وإكمالها بدون تعيين رباني لقيادة الأمة . وتحقق برأينا بإكمال تنزيل الأحكام وحل مشكلة القيادة وإرساء نظام الإمامة في عترة خاتم النبيين ﷺ إلى يوم القيامة . فالكل المسلمين متفقون على أنه عيدٌ شرعي ، فلماذا تخسر الأمة أعظم أعيادها ، ولا يكون له ذكر في مناسبته ولا مراسم تناسب شرعيته وقداسته؟! ولماذا لا يحييه أتباع المذاهب السنية بالشكل الذي ينسجم مع عقيدتهم وفقه مذاهبهم !؟

أسباب النزول تكشف تحريفات السلطة

باستطاعتك أن تكشف رواة السلطة من أحاديث أسباب النزول أكثر من غيرها ، لأن الجانِب الرياضي فيها أوضح ! فعندما تجد خمسة أسباب في نزول آية ، متنافية في المكان والزمان والحادثة ، لا يمكن أن تقبلها وتقول كلها صحيحة ورواتها صحابة عدول وكلهم نجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا ! بل لابد أن يكون السبب واحداً ، والباقي غير صحيح ، أو كلها غير صحيحة ! لذا أدعو الباحثين في تفسير القرآن

وعلومه الى العمل في هذا الحقل ليقدموا إلى الأمة والأجيال نتائج جديدة في فهم القرآن والسيرة ، بل في فهم العقائد والفقه والإسلام . ولهذا أكد أمير المؤمنين عليه السلام على أهمية معرفة أسباب النزول ، لأنها تميز الحق من الباطل وتضع حداً للمحرفين المبطلين ! قال عليه السلام: (كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أجبني، وإن فئت مسألي ابتدأني فما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا أرض ولا دنياً ولا آخرة ولا جنة ولا نار ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة، إلا أقرأنيها وأملاها عليّ وكتبتها بيدي ، وعلمني تأويلها وتفسيرها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ، وكيف نزلت وأين نزلت وفين أنزلت ، إلى يوم القيمة ، ودعا الله لي أن يعطيني فهماً وحفظاً ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علي من أنزلت). (بصائر الدرجات/٢١٨).

ومن أوضح الأمثلة لأسباب النزول ، مسألة آخر ما نزل من القرآن !

فقد تتفهم أن يختلف المسلمون في أول ما نزل من القرآن، لأنهم لم يكونوا مسلمين يومها، ثم لم يكتبوا عن النبي صلى الله عليه وآله ما عدا علي عليه السلام ! ثم منعتهم السلطة من كتابة سنة النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته ، فأوقعت الأجيال في مشكلات لا آخر لها !

لكن العجيب اختلافهم في آخر ما نزل من القرآن ، وقد كانوا دولةً وأمةً ملتفةً حول نبيها ، وقد أعلن لهم أنه راحل عنهم عن قريب ،

وحج معهم حجة الوداع ، ومرض قبل وفاته أسبوعين ، وودعوه وودعهم ! فلماذا اختلفوا في آخر ما نزل عليه ؟
الجواب: إنها الأغراض السياسية التي دخلت في كل شئ !

آخر ما نزل من القرآن: سورة المائدة وآيات الغدير

اتفق أهل البيت عليهم السلام على أن آخر ما نزل من القرآن سورة المائدة فروى العياشي في تفسيره: ٢٨٨/١ ، عن علي عليه السلام قال: (كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً ، وإنما كان يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بآخره ، فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة فنسخت ما قبلها ولم ينسخها شئ . لقد نزلت عليه وهو على بغلته الشهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلّى بطنها، حتى رأيت سرّتها تكاد تمسُّ الأرض، وأغميَ على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وضع يده على ذؤابة شيبه بن وهب الجمحي، ثم رفع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقرأ علينا سورة المائدة فعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وعملنا). وقصده عليه السلام أن المسح على القدمين في الوضوء هو الواجب وليس غسلهما، لأنه نزل في سورة المائدة .

وفي الكافي: ٢٨٩/١ ، بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (أمر الله عز وجل رسوله بولاية علي وأنزل عليه: **إِنَّمَا وَكَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** . وفرض ولاية أولي الأمر فلم يدروا ما هي؟ فأمر الله محمداً صلى الله عليه وآله أن يفسر لهم الولاية كما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فلما أتاه ذلك من الله ضاق بذلك صدر رسول

الله ﷻ وتخوف أن يرتدوا عن دينهم وأن يكذبوه ، فضاق صدره وراجع ربه عز وجل فأوحى الله عز وجل إليه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فصدع بأمر الله تعالى ذكره فقام بولاية علي عليه السلام يوم غدیر خم فنادى الصلاة جامعة وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب. قال عمر بن أذنية: قالوا جميعاً غير أبي الجارود وقال أبو جعفر عليه السلام: وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي . قال أبو جعفر عليه السلام: يقول الله عز وجل: لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض) . وفي تاريخ البعقوبي: ٤٣/٢: (وقد قيل إن آخر ما نزل عليه: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا . وهي الرواية الصحيحة ، الثابتة الصريحة).

رأي السنين الموافق لرأي أهل البيت عليه السلام في سورة المائدة

رووا عن عائشة بسند صحيح ما يوافق رأي أهل البيت عليه السلام ، قالت: (إن سورة المائدة آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها حلالاً فحللوه ، وما وجدتم فيها حراماً فحرموه). (أحمد: ١٨٨/٦ ، وسنن البيهقي: ١٧٢/٧ ، وطبقات الحنابلة: ٤٢٧/١ . والحاكم: ٣١١/٢ ، على شرط الشيخين ، والمحلبي: ٤٠٧/٩ ، وفي الغدير: ٢٢٨/١ : ونقل ابن كثير من طريق أحمد والحاكم والنسائي . ومجمع الزوائد: ٢٥٦/١ عن ابن عباس: فإنها أحكمت كل شيء ، وكانت آخر سورة نزلت من القرآن) . فالمتسالم عند أهل البيت عليه السلام أن آخر ما نزل من القرآن المائدة وتؤيده روايات صحيحة في مصادر السنة . بل إن آية

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.. تكفي وحدها دليلاً على أنها آخر ما نزل من القرآن ، لأنها تقول إن نزول الأحكام قد تم، وتنفي نزول أي حكم بعدها ، مضافاً الى ما تقدم من النص على ذلك .

ودخلت السياسة على الخط فظهرت الهرطقة !

سئل الخليفة عمر ذات يوم عن بعض أحكام الربا فلم يعرفها فقال: متأسف ، فأية الربا آخر آية نزلت ، وتوفي النبي (ص) ولم يبينها لنا ! ومن يومها صار ختام ما نزل من القرآن مردداً بين المائة وآيات الربا ! وصارت المائة (من) آخر ما نزل ، وليس آخر ما نزل !

ففي الدر المنثور: ٢٥٢/٢، أن النبي ﷺ قال: (المائة (من) آخر القرآن تنزيلاً فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها). فهل عرفت أن (من) موظفة من الحكومة لتصديق قول الخليفة ؟ ولكن آية الربا التي قال عمر إنها آخر ما نزل ! موجودة في أربع سور: في الآيتين ٢٧٥ و ٢٧٦ من سورة البقرة والآية ١٦١ من سورة النساء ، والآية ٣٩ من سورة الروم ، والآية ١٣٠ من سورة آل عمران.. وبعض هذه السور مكّي وبعضها مدني ! فأى آية منها قصد الخليفة ؟!

هنا تبرع الموظفون فقالوا إنه يقصد الآية ٢٧٨ من سورة البقرة ! فصار مذهبهم أن آخر آية نزلت من القرآن وضعت في سورة البقرة التي نزلت في أول الهجرة ! وصار تحريم الربا تشريعاً إضافياً ، لأنه نزل بعد آية إكمال الدين ! وكأنهم لا يرون بأساً بهذا التهافت في نزول القرآن ، لأنهم يدافعون

بذلك عن عمر الذي يعتقدون أنه خليفة النبي ﷺ!

قال أحمد: ٣٦١: (قال عمر: إن آخر ما نزل من القرآن آية الربا وإن رسول الله قبض ولم يفسرها، فدعوا الربا والريبة). وكنز العمال: ١٨٦/٤، عن تسع مصادر .
وقال السرخسي في المبسوط: ٥١/٢ و ١١٤/١٢: (فقد قال عمر رضي الله عنه: إن آية الربا آخر ما نزل وقبض رسول الله قبل أن يبين لنا شأنها) ! فكلام عمر يجب أن يكون صحيحاً، حتى لو استوجب تكذيب القرآن في إكمال الدين ، واستوجب تقصير النبي ﷺ في بيان الوحي ! وقال في الإتيان: ١٠١/١: (وأخرج البخاري عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت آية الربا . وروى البيهقي عن عمر مثله.. وعند أحمد وابن ماجه عن عمر: من آخر ما نزل آية الربا). انتهى.
ولكن إضافتهم (من) في حديث لاتحل المشكلة ، لأن غيره ليس فيه (من) !

مصيبة الكلاله عند عمر أكبر من مصيبة الربا

وذات يوم ، لم يعرف الخليفة عمر معنى الكلاله واستعصى عليه فهمها وداخ فيها ! فقال إنها آخر آية نزلت وتوفي النبي ﷺ ولم يبينها له ، أو بينها له بياناً ناقصاً ! روى بخاري: ١١٥/٥: (عن البراء قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة ، وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ.. ونحوه: ١٨٥/٥. وفي الإتيان: ١٠١/١: (فروى الشيخان عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ، وآخر سورة نزلت براءة). ونحوه أحمد: ٢٩٨/٤. ومن يومها دخلت آية الكلاله على الخط ! وصار ختام ما نزل مردداً بين آيات الربا والكلاله ، والمائدة وإكمال الدين !

وقد راجعت ما تيسر لي من مصادرهم في الربا والكلالة ، فهالتي مشكلة الخليفة معهما وخاصةً الكلالة ، حتى أنه جعلها قضية هامة على مستوى قضايا الأمة الكبرى، وكان يطرحها على المنبر حتى آخر أيامه ويوصي المسلمين بحلها ! وهو أمر غريب يدل على شعوره العميق بالخرج أمام المسلمين لعدم تمكنه من استيعابها !

ففي صحيح بخاري:٢٤٢/٦: (عن ابن عمر قال: خطب عمر على منبر رسول الله فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أشياء: العنب والتمر والحنطة والشعير والعلس . والخمر ما خامر العقل . وثلاث وددت أن رسول الله (ص) لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً: الجذ ، والكلالة ، وأبواب من أبواب الربا). ومسلم في: ٨١/٢ ، بتفصيل ، ونحوه في: ٦١/٥ و ٢٤٥/٨ ، ورواه ابن ماجة في: ٩١٠/٢ وفي الدر المنثور: ٢٤٩/٢: وأخرج عبد الرزاق ، والبخاري ، ومسلم ، وابن جرير ، وابن المنذر ، عن عمر.. الخ. ويدل هذا الصحيح المؤكد على أن عمر لم يسأل النبي ﷺ عن الكلالة، وصرح به الحاكم وصححه: ٣٠٣/٢ . أن عمر قال: (لأن أكون سألت رسول الله عن ثلاث أحب إلي من حمر النعم: عن الخليفة بعده ، وعن قوم قالوا نقرُّ بالزكاة في أموالنا ولا تؤديها إليك أيحل قتالهم ، وعن الكلالة).

لكن صحيح مسلم المؤكد أيضاً روى قول عمر إنه سأل النبي ﷺ عنها مراراً ! قال مسلم في: ٦١/٥: (أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة فذكر نبي الله وذكر أبا بكر ثم قال: إني لا أدع بعدي شيئاً أهم عندي من الكلالة ! ما راجعت رسول الله (ص) في شيء ما راجعته في الكلالة ، وما أغلظ لي في شيء

ما أغلظ لي فيه ، حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟! وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن). انتهى. فقد سأل النبي ﷺ عنها مراراً فوضحها له لكنه كرر سؤاله حتى غضب عليه النبي ﷺ لعدم فهمه لشرحه! ويدل الصحيحان التاليان على أن النبي ﷺ أخبره أنه لن يفهم الكلالة طول عمره أو دعا عليه بذلك! ففي الدر المنثور: ٢٥٠/٢: (وأخرج العدني والبخاري في مسنديهما ، وأبو الشيخ في الفرائض ، بسند صحيح عن حذيفة قال: نزلت آية الكلالة على النبي في مسير له فوقف النبي (ص) فإذا هو بحذيفة فللقاها إياه ، فنظر حذيفة فإذا عمر فللقاها إياه ، فلما كان في خلافة عمر نظر عمر في الكلالة فدعا حذيفة فسأله عنها فقال حذيفة: لقد لقانها رسول الله فلقيتك كما لقاني، والله لا أزيدك على ذلك شيئاً أبداً). وفي كنز العمال: ٨٠/١١ أن عمر سأل رسول الله: كيف يورث الكلالة؟ قال: أو ليس قد بين الله ذلك ثم قرأ: وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَكَانَ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ، فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي التُّلْثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ . فكان عمر لم يفهم فأنزل الله: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَكَانَ لَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيئُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا التُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، فكان عمر لم يفهم فقال لحفصة: إذا رأيت من رسول الله

طيب نفس فاسأليه عنها ! فقال: أبوك ذكر لك هذا؟ ما أرى أباك يعلمها أبداً ! فكان يقول: ما أراني أعلمها أبداً ، وقد قال رسول الله (ص) ما قال ! وذكر صحة الحديث . بل روى في الدر المشهور: ٢٤٩/٢: أن النبي ﷺ قد كتبها لعمر في كتف، أي جلد معد للكتابة ! قال: (وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن مردويه عن طاوس ، أن عمر أمر حفصة أن تسأل النبي عن الكلالة فسألته فأملاها عليها في كتف وقال: من أمرك بهذا أعمر، ما أراه يقيمها أو ما تكفيه آية الصيف؟! قال سفيان: وآية الصيف التي في النساء: وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً.. فلما سألوا رسول الله نزلت الآية التي في خاتمة النساء). كما رووا أن عمر ألف في الكلالة كتاباً ، ثم مزقه !

فتأمل هذه التناقضات الصحيحة السند في حديث عمر والكلالة ! والمسائل الثلاث التي قال بخاري لم يبينها النبي ﷺ للأمة ولا سأل عمر عنها النبي ﷺ، كيف رووا أن النبي ﷺ كتبها لعمر !

إن دلالات هاتين القصتين متعددة وخطيرة ، تستحق أن يكتب الباحث فيها عشرات الصفحات ! ونكتفي منها: بأن صحاح الخلافة فيها متناقضات لا يمكن لعامل أن يقبلها ، بل لابد أن يرد بعضها أو جميعها ! وكيف يمكن أن تقبل أن عمر لم يسأل النبي ﷺ عن آية لأنها آخر آية نزلت ، ثم سأله عنها فكتبها له ، ثم سأله عنها مراراً فشرحها له فلم يفهمها ،

حتى غمزه بإصبعه في صدره وغضب منه ! وأن تقبل أن الكلاله آخر آية نزلت ، وآيات الربا ، وأنها نزلتا بعد إكمال الدين وانتهاء تنزيل أحكامه ! فهل معنى: اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ: عفواً ، لم أكمل أحكام الإرث والربا.. الخ! ونكتفي منها: بأن سلطة عمر على السنيين بلغت حداً تجعل ادعاءه غير المعقول معقولاً ! وتجعل وظيفة علمائه تكييف الإسلام وأحداث نزول آيات القرآن حسب ما قاله حتى لو تناقضت أقواله واتهمت النبي ﷺ بالتقصير في التبليغ ، أو اتهمت الله تعالى بالتناقض في قرآنه وأفعاله !

يريدونك أن تجادل عن شخص غير معصوم ، فتبرئه من الخطأ والتناقض، ولو رميت به الله تعالى ورسوله ﷺ! وإلا فأنت رافضي عدوٌ للإسلام ورسوله ﷺ وصحابته ، مهدور الدم والمال والعرض !

تخبطهم في آخر ما نزل لإبعاد الآية عن ولاية علي عليه السلام

يظهر أن السيوطي استحي لجماعته من كثرة الأقوال في آخر ما نزل من القرآن ، فأجملها إجمالاً ولم يعددها أولاً وثانياً ، كما عدد الأقوال الأربعة في أول ما نزل ! ونحن نعدها باختصار !

- ١ - أن آخر آية هي آية الربا ، وهي الآية ٢٧٨ من سورة البقرة .
- ٢ - أنه آية الكلاله: الورثة من الأقرباء غير المباشرين. آية ١٧٦- النساء .
- ٣ - أنه آية (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) آية ٢٨١ - البقرة .
- ٤ - أنه آية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...) لآية ١٢٨ - التوبة .
- ٥ - أنه آية (وما أرسلنا من قبلك من رسول ...) لآية ٢٥ - الأنبياء .

٦ - أنه آية (فمن كان يرجو لقاء ربه ...) الكهف - ١١٠ .

٧ - أنه آية (ومن يقتل مؤمناً متعمداً ...) النساء - ٩٣ .

٨ - أن آخر سورة نزلت هي سورة التوبة .

٩ - أن آخر سورة نزلت هي سورة النصر .

هذا ما جاء فقط في إتيان السيوطي: ١٠١/١، وقد تبلغ رواياتهم ضعف هذا ! وأحاديثها عندهم صحيحة ، والمطلوب المركزي لهم إبعاد الأمر عن سورة المائدة وآية إكمال الدين ، وإبعاد السورة والآية عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ، ثم لا مانع إن لزم الأمر أن يتنازلوا عن قول عمر ، لكن لمصلحة قول آخر يبعد الأمر عن ولاية علي عليه السلام ! ولذا دخل معاوية على الخط ، ونفى على المنبر أن تكون آية اليوم أكملت لكم دينكم ، آخر ما نزل !

ففي الطبراني الكبير: ٣٩٢/١٩ ، ووثقه مجمع الزوائد: ١٤/٧، عن عمرو بن قيس أنه (سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر نزع بهذه الآية: اليوم أكملت لكم دينكم .. قال: نزلت يوم عرفة في يوم الجمعة ، ثم تلا هذه الآية: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا!) والشاميين: ٣/٣٩٦ ، وتفسير الطبري: ٥١/١٦ ، والدر المنثور: ٢٥٧/٤ ، والإتيان: ٨٥/١ .

ولذا نسب بخاري الى ابن عباس في صحيحه: ١٨٢/٥ ، قال: (سمعت سعيد بن جبير قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت فيها إلى ابن عباس فسأته عنها فقال: نزلت هذه الآية: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ.. هي آخر ما نزل وما نسخها شيء). آية: ٩٣: النساء ، ونحوه: ١٥/٦ ، والدر المنثور: ١٩٦/٢ ، عن البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وابن جرير والطبراني ، وأحمد، وسعيد بن منصور، وابن ماجه ، وابن المنذر ، وابن أبي

حاتم...الخ. فهل يمكن لمسلم أن يقبل أن تحريم قتل المؤمن تشريع إضافي في الإسلام ، نزل بعد إكمال الدين ! ونسب الطبراني في الكبير: ١٩/١٢، الى ابن عباس: (آخر آية أنزلت: وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ). ٢٨١ من سورة البقرة ! ونسب الحاكم: ٣٣٨/٢، الى أبي بن كعب وصححه على شرط الشيخين: (آخر ما نزل من القرآن: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ). وهي في سورة التوبة: ١٢٨، ورواه في الدر المنثور: ٢٩٥/٣، عن ابن أبي شيبة، وابن راهويه، وابن منيع، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي، وابن الضريس، وابن الأنباري، وابن مردويه، عن ابن كعب وفيه : إن أحدث القرآن عهداً بالله وفي لفظ بالسما هاتان الآيتان...الخ.

تحليلهم على معنى إكمال الدين من أجل عمر!

قال في الإتيان: ١٠٢/١: (من المشكل على ما تقدم قوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، فإنها نزلت بعرفة في حجة الوداع ، وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها . وقد صرح بذلك جماعة منهم السدي فقال: لم ينزل بعدها حلالٌ ولا حرامٌ ، مع أنه ورد في آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعدها ! وقد استشكل ذلك ابن جرير وقال: الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم الدين بإفرادهم بالبلد الحرام ، وإجلاء المشركين عنه حتى حجه المسلمون ، لا يخالطهم المشركون) ! انتهى.

أقول: معنى كلام ابن جرير الطبري: أنه يعترف بأن الآية تنص على إكمال الدين فمعناه أنه لم ينزل بعدها أحكام ، لكن بما أن عمر قال إن آيات نزلت

بعدها في أحكام الربا والإرث ، وسياقها الذي وضعت فيه في القرآن يأتي فيه بعدها مجموعة أحكام للحوم والطعام والزواج.. الخ. فالحل عند الطبري أن نلغي معنى إكمال الدين في الآية ونجعله إكماله بتحرير مكة ! حتى تسلم لنا أحاديث عمر عن الكلاله والربا وغيرها ! وهذا يعني وجوب تطويع آيات القرآن لكلام عمر ولو استلزم تفرغها من معناها ! لكن ماذا يصنعون بإقرار عمر لليهودي بأن يوم إكمال الدين عيد إكمال تنزيل الأحكام .

والصحيح ، ما نص عليه عامة فقهاءهم وهو أن آية إكمال الدين إعلان عن إكمال تنزيل الشريعة: (فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام) ، وأرسلوا ذلك إرسال المسلمات ، كعمدة القاري: ١٨/١٩٩ ، وتفسير مقاتل: ١/٢٨٠ ، وتفسير الطبري نفسه: ٦/١٠٦ ، عن إمامه السدي ، وتفسير ابن كثير: ٢/١٤ ، والإتقان: ١/٨٦ ، وغيرهم .

أما عندنا فقد فسّر الإمام الباقر عليه السلام الآية بسند صحيح ، قال عليه السلام: (لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة . قد أكملت لكم هذه الفرائض).

والفريضة عندنا تعني: كل تكليف شرعي ، ففي الكافي: ٢/٦٤٤ ، عن الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: السلام تطوع والرد فريضة). وفي ٢/٣٣ ، عن الباقر عليه السلام قال: (قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله كان مؤمناً؟ قال: فأين فرائض الله؟ ... كان علي عليه السلام يقول: لو كان الايمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام). انتهى. فهذا الإجماع بيننا وبينهم ، دليل كاف لرد كل رواية أو مقولة ، تدعي نزول شيء من الأحكام بعد آية إكمال الدين .

معنى الإكمال يؤكد موقع علي عليه السلام ومنظومة الإمامة

حاول اللغويون التمييز بين الإكمال والإتمام ، وأعمقهم في ذلك الراغب في مفرداته ، والعسكري في الفروق اللغوية ، وأخطأ بعضهم فعدهما مترادفين مع أن القرآن ليس فيه مترادف بالكمال !

والظاهر أن مادة (كمل) تستعمل للمركب الذي لا يحصل الغرض منه ولا يكمل إلا بكل أجزائه فإن نقص منها شيء كان وجوده ناقصاً أو مثلوماً ! ولذا قال علي عليه السلام سيد الفصحاء بعد النبي صلى الله عليه وآله في عهده للأشتر رضي الله عنه: (فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووفّ ما تقربت به إلى الله من ذلك، كاملاً غير مثلوم ولا منقوص بالغاً من بدنك ما بلغ) . (نهج البلاغة: ١٠٣٣).

فإكمال الدين رفع نقصه بتكميل أجزائه ، أو رفع ثلمه ، لأن الإسلام مركب من الدين وآلية تطبيقه التي هي الإمامة ، وعدم تبليغ الجزء المكمل للمركب يساوي عدم تبليغ شيء منه ، وبذلك يتضح أن الإمامة جزء لا يتجزأ من الإسلام ، فلا وجود له وجوداً حقيقياً بدونها .

أما النعمة فليست مركباً واحداً بل هي وجود متفاوت ودرجات وأجزاء ، فهي موجودة قبل تبليغ النبي صلى الله عليه وآله للإمامة، لكنها لا تكون تامة إلا بها ! فمعنى: وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، أتممتها بتكميل الإسلام ومنظومة الإمام فيه ، فإكمال مركب الدين بالإمامة ، وبها تتم النعمة على المسلمين ، إن هم أطاعوا الإمام الذي نصبه ربهم لهم .

ويدل على ذلك آية جمعت الإكمال والإتمام، هي قوله تعالى: وَالْوَالِدَاتُ

يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ). (البقرة-٢٣٣).

فالكمال للحولين لأنهما إسم لمركب يتتفي بانتفاء جزء منه ، فلو نقصت يوماً لم تستحق الرضاعة لحولين . والتمام للرضاعة لأنها إسم للأعم فإن نقصت عن حولين فهي رضاعة ، وإن كانت غير تامة .

هذا ، وللراغب الأصفهاني هنا لفتة جيدة ، هي أن إكمال الدين يعني ثبات صيغته النهائية وعدم حدوث النسخ فيه ، فالنسخ كان مفتوحاً في القرآن والسنة حتى نزلت الإمامة فانتهى وكمل الدين بصيغته الخالدة وتمت به النعمة. قال في مفرداته/٤٤٠: (وقوله: وتمت كلمة ربك ، إشارة إلى نحو قوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، الآية.. ونبه بذلك أنه لا تنسخ الشريعة بعد هذا).

تفسير آية: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ

العذاب الذي طلبته قريش

قال الله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. (المعارج: ١-٢).
تبدو هاتان الآيتان سؤالاً عن عذاب موعود سيقع حتماً ، لا أكثر ،
ويمكن لأحد أن يقول إنه عذاب الآخرة الموعود ، فليس بالضرورة أن
يكون عذاباً في الدنيا . لكن الآيات والأحاديث تدل على أن هذا
العذاب في الدنيا ، وقد وقع منه مفردات ، وبقيت مفردات !

وفي آيات العذاب الدنيوي تجد طلباً عجيباً من مشركي قريش ، لم
تطلبه أي أمة من نبيها عبر التاريخ ! قال الله تعالى: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ
آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . وَإِذْ
قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ
اتَّبِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ . وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا
كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَشَكِّمُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . (الأنفال: ٣١-٣٤) .

لقد حطّم القرشيون الرقم القياسي في العناد اليهودي البدوي ! فلم
يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، بل قالوا ما

لم يقله أحد قبلهم ولا بعدهم: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ! ومعناه أنا لا نريد نبوة ابن بني هاشم ، حقاً كانت أو باطلاً ، فإن كانت حقاً من عندك ، فأهلكنا فذلك خير لنا ! وصدق الله تعالى حيث أخبر أن أكثرهم لن يؤمنوا، فقال: لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. (يس: ٦-٨).

وقد وعد الله هؤلاء الأكثر وإن أظهروا الإيمان بعذاب الدخان فقال: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ . يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ . رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ . أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ . ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِجْنُونٌ . إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ . يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُتَّقِمُونَ) (الدخان: ١٠-١٥).

أما مصادر السلطة فقد زعمت أن العذاب بهذا الدخان تحقق عندما دعا النبي ﷺ على قريش فأصابهم القحط والجوع فكان أحدهم يرى أمامه كالدخان من الجوع ! قال بخاري: ١٥/٢: (إن النبي (ص) لما رأى من الناس إدباراً قال: اللهم سبعاً كسبج يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شئ حتى أكلوا الجلود والميتة والحييف ، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع ، فأناه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم ، قال الله

تعالى: فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين إلى قوله عائدون يوم
نبتش البطشة الكبرى ، فالبطشة يوم بدر ، وقد مضت الدخان والبطشة
واللزام وآية الروم). و: ١٩/٢، و: ٢١٧/٥، و: ٤١/٦.

وفي صحيح مسلم: ١٣٠/٨: (عن مسروق قال: كنا عند عبد الله جلوساً
وهو مضطجع بيننا ، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً عند
أبواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجئ فتأخذ بأنفاس الكفار
ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام! فقال عبد الله وجلس وهو غضبان: يا
أيها الناس إتقوا الله ، من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم ، ومن لم يعلم
فليقل الله أعلم..). ثم أورد حديث بخاري وقال: (فالبطشة يوم بدر وقد
مضت آية الدخان والبطشة واللزام وآية الروم). انتهى.

أقول: ترى علماء السلطة يصرون على إبعاد العذاب الدنيوي
والأخروي عن هذه الأمة وخاصة عن قريش حتى عن فراعنتها وأئمة
الكفر منها كأبي جهل (بخاري: ١٩٩/٥)! وقصدهم بالبطشة قوله تعالى: ثُمَّ
تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ . إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ .
يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ . (الدخان: ١٤-١٦) ، وباللزام آخر
سورة الفرقان: قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ
يَكُونُ لَكُمْ لَزَامًا) . فهم يفسرون البطشة الكبرى واللزام والعذاب ببدر!
ويقولون إن أنواع العذاب الموعود قد مضت !

بل تراهم افتروا على النبي ﷺ بأنه دعا على قومه فوبخه الله تعالى !
 فافراً مالا تصدقه عيناك في تفسير قوله تعالى: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ،
 وكيف صوروا النبي ﷺ ضيق الصدر مبغضاً لقريش عدوانياً عليها !
 فينزل الوحي مدافعاً عن هذه القبائل المقدسة !

قال في الميزان: ١٨/١٣٧: (واختلف في المراد بهذا العذاب المذكور في
 الآية ، فقيل: المراد به المجاعة التي ابتلى بها أهل مكة.. وقيل إن
 السدخان المذكور في الآية من أشراط الساعة وهو لم يأت
 بعد... والقولان كما ترى). ونحوه مجمع البيان: ١٠٥/٩ .

أقول: التأمل في آيات العذاب يوجب القول بوجود عذاب دنيوي
 أيضاً وعد الله به بعض الناس ، منه ما تحقق ومنه ما يكون على يد
 المهدي ﷺ ومنه ما يكون قبله ، أو بعده في الرجعة ، أو قرب القيامة .
 ومن أدلته الواضحة قوله تعالى: (وَلَكِنَّ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ
 لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ . وَلَكِنَّ آخِرَنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى
 أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَحْسِبُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا
 كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ). (هود: ٧-٨). فهو ينص على عذاب موعود مؤخر الى (الأمّة
 المعدودة) الذين يعينهم الله لعذاب الظالمين ، وقد ورد أنهم أصحاب الإمام
 المهدي ﷺ. وكذا قوله تعالى لنبيه عيسى ﷺ: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
 مَتَوَفَّيْكَ وَرَأَفَعِكَ إِلَىٰ مَطَطِّكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ

٨٠.....تفسير آيات الغدير الثلاث

الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ... فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ. (آل عمران: ٥٥-٥٦). ولا يتسع المجال لبحث الموضوع ، وغرضنا منه العذاب الموعود في قوله تعالى: سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ، وقد وردت أحاديث في أنه يتعلق بقريش ، وأنه وقع بعضه يوم بدر ، وبعضه على أثر يوم الغدير . وبعضه يكون عند ظهور الإمام المهدي عاشقته كما قال الإمام الصادق عاشقته: (تأويلها فيما يأتي ، عذاب يقع في الشوية يعني ناراً حتى تنتهي إلى الكناسة) . (غيبة النعماني/٢٧٢).

أحجار من السماء للمعترضين باسم قريش!

تحركت قافلة النبوة من غدير خم نحو المدينة ، وسكن قلب النبي ﷺ واطمأن لأنه بلغ رسالة ربه ، لكن قلوب قريش كانت تغلي من الغيظ ، ثم رأت نفسها أفاقت بعد سكرة ، فأخذت بالنشاط !
هنا استعمل الله تعالى أسلوباً آخر لعصمة نبيه ﷺ من قريش ، هو كشف مؤامرتها لقتله بعد الجحفة في عقبة هرشى ، وكانت نسخة عن مؤامرتها في عقبة تبوك .

كما استعمل الله أسلوب العذاب السماوي الذي لا تفهم قريش غيره تماماً كاليهود مع أنبيائهم ﷺ ! وقد روت مصادر السنة والشيعنة عدة أسماء لأشخاص اعترضوا على إعلان النبي ﷺ ولأية علي عليه السلام في غدير خم وهم: جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي ، والحارث بن النعمان الفهري ، وعمرو بن عتبة المخزومي ، والنضر بن الحارث الفهري ، والحارث بن عمرو الفهري ، والنعمان بن الحارث اليهودي ، والنعمان بن المنذر الفهري ، وعمرو بن الحارث الفهري ، ورجل من بني تيم ، ورجل أعرابي.. ورجل أعرابي من أهل نجد من ولد جعفر بن كلاب بن ربيعة . وكلهم قرشيون إلا الربيعي واليهودي ! وليس فيهم أنصاري لأنهم لم يعترض منهم أحد على ما أعطى الله

تعالى لعثرة نبيه ﷺ، وإن خذلوهم بعد وفاته !
وخلاصة الحادثة: أن أحد القرشيين الكبار، أو أكثر من شخص ،
اعترض على النبي ﷺ واتهمه بأن إعلانه علياً عليه السلام ولياً على الأمة ، كان
عملاً من عنده وليس بأمر ربه عز وجل ! ولم يقتنع القرشي بتأكيد
النبي ﷺ له أنه ما فعل ذلك إلا بأمر ربه عز وجل ! وخرج من عند
النبي ﷺ غاضباً مغاضباً ، وهو يدعو الله بدعاء قريش أن يمطر الله
عليه حجارة من السماء إن كان هذا الأمر حقاً من عنده، فرماه الله
بحجر من السماء فأهلكه ! أو أنزل عليه ناراً من السماء فأحرقته !
وهذه الحادثة تعني أن الله استعمل التخويف مع قريش أيضاً، ليعصم
رسوله ﷺ من تكاليف حركة الردة التي قد تُقدم عليها ، ويتعزز عند
زعمائها الإتجاه القائل بفشل المواجهة الحسية مع النبي ﷺ، وضرورة
الصبر حتى يتوفاه الله تعالى !

وأقدم من روى هذا الحديث أبو عبيد الهروي في كتابه: غريب
القرآن ، قال ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب: ٢/٢٤٠: أبو عبيد ،
والتعليبي ، والنقاش ، وسفيان بن عيينه ، والرازي ، والقزويني ،
والنيسابوري ، والطبرسي ، والطوسي في تفاسيرهم ، أنه لما بَلَغَ رسول
الله (ص) بغدير خم ما بَلَغَ وشاع ذلك في البلاد ، أتى الحارث بن
النعمان الفهري وفي رواية أبي عبيد: جابر بن النضر بن الحارث بن

كلدة العبدري فقال: يا محمد! أمرتنا عن الله بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك ، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه ! فهذا شئ منك أم من الله؟! فقال رسول الله ﷺ: والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله . فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتتنا بعذاب أليم! فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله ، وأنزل الله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ..(الآية). انتهى. وقد أحصى علماؤنا ، كصاحب العباة ، وصاحب الغدير وصاحب إحقاق الحق ، وصاحب نفحات الأزهار ، وغيرهم عدداً من أئمة السنين الذين أوردوا هذا الحديث في مصنفاتهم ، فزادت على الثلاثين .. نذكر منهم اثني عشر:

- ١ - الحافظ أبو عبيد الهروي ، في تفسيره (غريب القرآن) .
- ٢ - أبو بكر النقاش الموصلي البغدادي ، في تفسيره .
- ٣ - أبو إسحاق الثعلبي ، في تفسيره (الكشف والبيان).
- ٤ - الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب (أداء حق الموالاة) .
- ٥ - أبو بكر يحيى القرطبي ، في تفسيره .
- ٦ - أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته .
- ٧ - شيخ الإسلام الحموي ، روى في فرائد السمطين في الباب الثالث عشر

بسنده الى الثعلبي عن سفيان بن عيينه سئل عن قوله عز وجل: سأل سائل بعذاب واقع ، فيمن نزلت فقال ...

٨ - أبو السعود العمادي ، في تفسيره: ٢٩٢/٨. وقال: قيل هو الحرث بن النعمان الفهري، وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله ﷺ في علي رضي الله عنه: من كنت مولاه فعلي مولاه ، قال ...

٩ - شمس الدين الشربيني القاهري الشافعي ، قال: في تفسيره السراج المنير: ٣٦٤/٤: اختلف في هذا الداعي فقال ابن عباس: هو النضر بن الحرث ، وقيل: هو الحرث بن النعمان...

١٠ - الشيخ برهان الدين علي الحلبي الشافعي ، رواه في السيرة الحلبية: ٣٠٢/٣ ، قال: لما شاع قوله(ص): من كنت مولاه فعلي مولاه في سائر الأمصار وطار في جميع الأقطار ، بلغ الحرث بن النعمان الفهري...

١١ - شمس الدين الحفني الشافعي ، في شرح الجامع الصغير: ٣٨٧/٢ .

١٢ - أبو عبد الله الزرقاني المالكي ، في شرح المواهب اللدنية: ١٣.

طرق وأسانيد حديث حجر الغدير

طرق المصادر السننية: الطريق الأول: حديث أبي عبيد الهروي: في كتابه:

غريب القرآن ، وسنده عند أهل الجرح والتعديل سند مقبول .

الثاني: حديث الثعلبي عن سفيان بن عيينة: وله أسانيد كثيرة ، وأكثر الذين ذكرهم صاحب الغدير ﷺ أسانيدهم عن الثعلبي أو من كتابه ، كما عدد السيد المرعشي ﷺ جملة منهم في إحقاق الحق: ٣٥٨/٦ ، ونص الحديث: (عن سفيان بن عيينة ﷺ سئل عن قوله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، فيمن

نزلت؟ فقال للسائل: لقد سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ، حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه رضي الله عنهم أن رسول الله (ص) لما كان بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي رضي الله عنه وقال من كنت مولاه فعلي مولاه فشاع ذلك فطار في البلاد ، وبلغ ذلك الحارث بن السعمان الفهري ، فأتى رسول الله (ص) على ناقه له فأناخ راحلته ونزل عنها، وقال: يا محمد أمرتنا عن الله عز وجل أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله فقبلنا منك ، وأمرتنا أن نصلي خمساً قبلنا منك ، وأمرتنا بالزكاة قبلنا منك ، وأمرتنا أن نصوم رمضان وأمرتنا بالحج قبلنا ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه... الخ. وشواهد التنزيل: ٣٨١/٢ ، بسندين إلى ابن عيينة ، برقم (١٠٣٠ و ١٠٣١).

الثالث والرابع والخامس للقاضي الحسكاني في شواهد التنزيل: ٣٨٢/٢ ، رقم ١٠٣٢ ، عن جابر الجعفي . و: ٣٨٣/٢ رقم ١٠٣٣ ، عن حذيفة ، و: ٣٨٥/٢ رقم ١٠٣٤ ، عن أبي هريرة .

طرق وأسانيد مصادرنا إلى سفيان بن عيينة

١. سند فرات بن إبراهيم الكوفي إلى سفيان بن عيينة/ ٥٠٥ ، برقم (٣).
٢. سند محمد بن العباس إلى سفيان في تأويل الآيات: ٧٢٢/٢ .
٣. سند الشريف المرتضى إلى سفيان في مدينة المعاجز: ٤٠٧/١ .
٤. سند منتجب الدين الرازي إلى سفيان في (الأربعون حديثاً) ٨٢/١ .
٥. سند الطبرسي إلى سفيان بن عيينة ، كما في تفسير الميزان: ٥٨/٦ .

طرق وأسانيد مصادرنا من غير طريق سفيان بن عيينة

- ١- أسانيد الكليني: ٤٢٢/١ ، و: ٥٧/٨ ، عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢. أسانيد فرات الكوفي/٥٠٣. عن أبي هريرة وابن عباس وسعد بن وقاص.
٣. سندا محمد بن العباس في تأويل الآيات: ٧٢٢/٢. عن أبي بصير...
٤. سند جامع الأخبار ، كما في بحار الأنوار: ١٦٥/٣٣.
٥. سند مدينة المعاجز للبحراني: ٢٦٧/٢ ، عن السيد حيدر بن علي الأملي .
٦. رواية المناقب لابن شهر آشوب ، عن عدد من المصادر ، وقد تقدمت .
٧. رواية علي بن إبراهيم في تفسيره: ٣٨٥/٢. بسنده عن أبي الحسن عليه السلام .

وهناك أسانيد أخرى ، يصعب استقصاؤها فراجع: شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ، وكنز الحقائق للكراجكي ، والفضائل لشاذان بن جبرئيل ، وتفسير القمي والمناقب لابن شهر آشوب ، وغاية المرام للبحراني، وغيرها.

والنتيجة الأولى التي يصل المتأمل أن أصل الحديث مستوف لشروط الصحة ، فمهما كان الباحث بطئ التصديق ، وأجاز لنفسه اتهام الشيعة بأنهم وضعوها في مصادرهم، فلا يمكنه أن يفسر وجودها في مصادر السنة ورواية عدد من أئمتهم لها ، وتبني بعضهم لها .

نعم قد يعترض متعصبٌ بأن هؤلاء الأئمة السنين روه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. وجوابه أولاً ، أن طرق الحديث فيها عن حذيفة ، وأبي هريرة ، وابن وقاص وغيره . وأن مقام أهل البيت عليهم السلام عند السنة لا يقل عن مقام كبار أئمتهم ، خاصة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام اللذين يروي عنهما عدد من كبار أئمتهم كأبي عبيد والسفيانيين والزهري ومالك وأحمد ، وغيرهم .

والنتيجة الثانية أن الحادثة التي روتها هذه الأحاديث لا يمكن أن تكون واحدة بل متعددة ، بسبب تعدد الإسماء ، والتصحيح يصح في بعضها لا في جميعها ، وبسبب نوع العقوبة ، والأمكنة ، والأزمنة ، واقرائن المذكورة في روايات الحديث . فرواية أبي عبيد والثعلبي وغيرها تقول إن الإعتراض والحادثة وقع في المدينة أو قربها ، وإن العذاب كان بحجرٍ من سجيل ، ورواية أبي هريرة وغيرها تقول كان في نفس غدیر خم بعد خطبة النبي ﷺ ، وإن العقوبة كانت بنارٍ نزلت من السماء ، وبعضها يقول إنها كانت بصاعقة .

نموذج من تفسير علماء الخلافة لآية: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ

قال الشوكاني في فتح القدير: ٣٥٢/٥: (وهذا السائل هو النضر بن الحارث حين قال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنًا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . وهو ممن قتل يوم بدر صبراً . وقيل: هو أبو جهل . وقيل: هو الحارث بن النعمان الفهري . والأول أولى لما سيأتي). انتهى . وقصده بما يأتي ما ذكره ٣٥٦ ، من رواياتهم التي تثبت أن السورة مكية وأن صاحب العذاب الواقع هو النضر ، وليس ابنه جابراً ، ولا الحارث الفهري قال: (وقد أخرج الفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس في قوله: سَأَلَ سَائِلٌ ، قال: هو النضر بن الحارث قال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ

السَّمَاءِ). انتهى. ومع أن الشوكاني ذكر القولين لكنه ذكر رواية أحدهما دون الآخر ، وهذا تحيز ! بل ينبغي أن يذكر آية القولين وسبب ترجيحه لأحدهما كما فعل الشربيني القاهري في تفسير المعروف فقال كما نقل عنه صاحب عباقات الأنوار: ٣٩٨/٧: (اختلف في هذا الداعي فقال ابن عباس: هو النضر بن الحارث . وقيل هو الحارث بن النعمان ، وذلك أنه لما بلغه قول النبي ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته في الأبطح ثم قال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلناه منك... إلخ). انتهى. وقال القرطبي في تفسيره: ٢٧٨/١٨: (وهو النضر بن الحارث حيث قال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، فنزل سؤاله وقتل يوم بدر صبراً هو وعقبة بن أبي معيط ، لم يقتل صبراً غيرهما ، قاله ابن عباس ومجاهد . وقيل: إن السائل هنا هو الحارث بن النعمان الفهري، وذلك أنه لما بلغه قول النبي (ص) في علي رضي الله عنه: من كنت مولاه فعلي مولاه ، ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح.. بنحو رواية أبي عبيد . ثم قال: وقيل: إن السائل هنا أبو جهل وهو القائل لذلك ، قاله الربيع. وقيل إنه قول جماعة من كفار قريش . وقيل: هو نوح ﷺ سأل العذاب على الكافرين. وقيل: هو رسول الله (ص) أي دعا بالعقاب، وطلب أن يوقعه الله بالكفار وهو واقع بهم لامحالة، وامتد الكلام إلى قوله تعالى: فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ، أي لا تستعجل فإنه قريب). أقول: رجع المفسرون السنيون كما رأيت تفسير الآية بنزول العذاب على

تفسير آية سأل سائل بعذاب واقع ٨٩

النضر بن الحارث العبدري بقتله في بدر ، لكن اعترافهم برواية العذاب عقوبة للمعترض على ولاية علي عليه السلام في الغدير ، يدل على وجود إعلان نبوي رسمي بحق علي عليه السلام ووجود اعتراضٍ قرشي عليه !

أما الفخر الرازي فاختر في تفسيره: ١٢٢/٣٠٠ . أن العذاب المذكور في مطلع السورة هو العذاب الأخروي ، وأن النبي مخصص بالنضر بن الحارث، قال: (لأن العذاب نازل للكافرين في الآخرة لا يدفعه عنهم أحد، وقد وقع بالنضر لأنه قتل يوم بدر) ، ثم وصف هذا الرأي بأنه شديد.. وهو بذلك يتابع المفسرين السنيين الذين قالوا بانتهاء العذاب النبوي الموعود ، مع أن السورة لا تشير إلى انتهاء أي نوع منه .

ويرد على تفسيرهم عدة إشكالات: أولها: أن القول الذي رجحوه قول صحابي أو تابعي وهما ابن عباس ومجاهد ، وليس حديثاً نبوياً، بينما تفسيرها بعذاب المعترض على ولاية علي عليه السلام حديث نبوي صحيح السند .

وثانيها: أن سؤال النضر بالعذاب الواقع كان قبل بدر ، وعذابه في بدر ، لكن آية مطر الحجارة نزلت في الأنفال بعد بدر وبعد قتل النضر ، فكيف يكون جواب قوله في سورة مكية، وقوله في سورة مدنية بعد هلاكه !؟

وثالثها: أن العذاب بحجر من السماء أكثر تناسباً وانطباقاً على قوله تعالى: **اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ، من قولهم أن العذاب كان بالقتل .

ورابعها: أنه لاتعارض بين التفسيرين ، فيكون العذاب وقع على النضر بن

الحارث في بدر ، ثم وقع على ولده جابر بن النضر ، كما في رواية أبي عبيد ، ثم وقع ويقع على آخرين من مستحقيه ! بل هو المتعين الذي يقتضيه إطلاق النص ، فقد تحدوا النبي ﷺ وتساءلوا عن العذاب الموعود وطلبوه ، فأجابهم الله تعالى بأنه واقع بالكفار لامحالة في الدنيا وفي الآخرة ، وقد وقع على قريش في بدر والخندق ، كما عذبهم بالجوع والقحط ، وفتح مكة . ومنه عذاب المعترضين منهم على النبي ﷺ لإعلانه ولاية عترته ﷺ ! بل يبقى العذاب الواقع مفتوحاً الى آخر الدنيا !

محاولات النواصب رد تفسير آية العذاب !

لم أعر على أحد من النواصب المبغضين لأهل بيت النبي ﷺ ، رد هذا الحديث وكذبه قبل ابن تيمية ، فقد هاجمه بعنف وتخبط في رده ! وتبعه على ذلك محمد رشيد رضا في تفسير المنار ، وهو ناصبي مقلد لابن تيمية وتلميذه ابن القيم في كثير من أفكارهما ، وقد أدخلها في تفسيره ، واستفاد لشرها من إسم أستاذه الشيخ محمد عبده ﷺ فخلط أفكاره بأفكار أستاذه ! ويلمس القارئ الفرق بين الجزئين الأولين من تفسير المنار اللذين كتبهما في حياة الشيخ محمد عبده وما سجله من دروسه ، ففيهما من عقلانية الشيخ محمد عبده ﷺ واعتقاده بولاية أهل البيت ﷺ ، وبين الأجزاء التي كتبها رشيد رضا بعد وفاة أستاذه أو أعاد طباعتها ووضع فيها أفكاره الناصبة لأهل البيت ﷺ . وقد نقل

رشيد رضا في المنار: ٤٦٤/٦، الحديث من تفسير الثعلبي ، ثم قال: (وهذه الرواية موضوعة ، وسورة المعارج هذه مكية ، وما حكاه الله من قول بعض كفار قريش: **اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ..** كان تذكيراً بقول قالوه قبل الهجرة، وهذا التذكير في سورة الأنفال وقد نزلت بعد غزوة بدر قبل نزول المائدة ببضع سنين ، وظاهر الرواية أن الحارث بن النعمان هذا كان مسلماً فارتد ، ولم يعرف في الصحابة ، والأبطلح بمكة والنبي ﷺ لم يرجع من غدير خم إلى مكة ، بل نزل فيه منصرفه من حجة الوداع إلى المدينة). انتهى. ولم يزد رشيد رضا على ما ذكره ابن تيمية ! وعمدة إشكالهما:

١- أن مكان الأبطلح في مكة والنبي ﷺ لم يرجع بعد الغدير إلى مكة . وجوابه: أن الأبطلح كل مسيل ماء فيه حصى (العين: ١٧٣/٣)، وأبطلح المدينة مشهور ، لكن ابن تيمية لا يعرفه أو تعمد الكذب ! وقد رده صاحب الغدير رحمته الله: ٢٣٩/١، بما رواه بخاري: ١٨١/١ (أن رسول الله (ص) أناخ بالبطلحاء بذى الحليفة فصلى بها). وذو الحليفة بالمدينة لا في مكة .

٢- وإشكاله الثاني أن سورة المعارج مكية نزلت قبل المائدة ، والحديث يقول إن آيتها نزلت وسط آيات سورة المائدة !

وجوابه: أن سورة المعارج مختلف فيها ، ويبدو أن فيها آيات مدنية ولو سلمنا أنها كلها مكية فتكون آية (سأل سائل) نزلت مرة ثانية ، لأنه

جاء تأويلها عندما طلب المعترض نزول العذاب عليه ونزل . وتوجد آيات عديدة نزلت أكثر من مرة وكان نزولها الثاني لتحقيق تأويلها أو لتأكيدها ، وقد نصت رواية بحار: ١٦٧/٣٧، على أن جبرئيل هبط بعد هلاك المعترض على النبي ﷺ وهو يقول: (إقرأ يا محمد: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ، لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ). وهذا نص في أن جبرئيل ﷺ نزل بتطبيق الآية أو تأويلها ، بل يظهر من أحاديثنا أن ما حل بالعبدري والفهري ما هو إلا جزءٌ صغيرٌ من (العذاب الواقع) الموعود ، وأن أكثره سينزل في المستقبل تمهيداً لظهور المهدي ﷺ أو نصرةً له.. وقد روى المحدثون والمفسرون أن آية: وَكَسَوَفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، نزلت في سورة الضحى عندما أبطأ جبرئيل على رسول الله ﷺ (الطبراني الكبير: ١٧٣/٢)، ونزلت عندما عيّر المشركون المسلمين بالفقر (الباب النقول/ ٢١٣)، ونزلت عندما عُرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده (الطبراني الكبير: ٢٧٧/١٠)، ونزلت عندما رأى النبي ﷺ على فاطمة ﷺ كساء من وبر الإبل وهي تطحن فبكى وقال: يا فاطمة إصبري على مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً، فنزلت: وَكَسَوَفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. (كتر العمال: ٤٢٢/١٢). فلا الأبطح عرفوه ، ولا تكرار النزول فهموه ، وتشبثوا بالباطل لينكروا ولاية علي ﷺ التي صدع بها رسول الله ﷺ .

هذا ، وقد رد علماؤنا كلام الناصبي ابن تيمية في منهاجه: ١٣/٤، بنقد

علمي مفصل كما ترى في الغدير: ٢٣٩/١ ، وعبقات الأنوار: مجلد ٧ و ٨ .

بنو عبد الدار "أبطال" العذاب الواقع

اختلفت الروايات في إسم الشخص الذي نزل عليه حجر السجيل ، ولكن ذلك لا يضر في صحة الحديث ، خاصة أن المرجح تعدد الحادثة في غدير خم وفي المدينة ، وطبيعي أن يخفي القرشيون إسم الذي اتهم النبي ﷺ فنزل عليه العذاب ، لأن إسمه صار سوءاً على أقاربه وعشيرته ! وأقوى الروايات في إسمه: جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي ، بدليل أن الحافظ أبا عبيد الهروي المتوفى سنة ٢٢٣ ، ضبطه في كتابه بهذا الإسم ، والعلماء يحترمون خبرة أبي عبيد بالحديث ، وجابر بن النضر شخصية قرشية معروفة ، فوالده زعيم بني عبد الدار حامل لواء قريش الذي قتل يوم بدر، فهو بنظره صاحب ثأر مع النبي ﷺ وعلي ﷺ الذي قتل أباه !

كما أنه في الكفر كأبيه الذي كان من أشد فراعنة قريش على النبي ﷺ! وقد ردد جابر كلمة أبيه: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ !

قال ابن هشام في سيرته: ١٩٥/١: (وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله (ص) وينصب له العداوة ، وكان قدم

الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار ، فكان إذا جلس رسول الله (ص) مجلساً فذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه ، فهلم إلي فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟! قال ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني: سأنزل مثل ما أنزل الله . قال ابن إسحاق: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن ، قول الله عز وجل: إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن) . وقال السيوطي في الدر المنثور: ١٨١/٣: (وأخرج ابن جرير عن عطاء قال: نزلت في النضر: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَابٍ أَلِيمٍ .. وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ .. وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ .. وَسَأَلْ سَائِلٌ بَعْدَابٍ وَقَعَ ! قال عطاء: لقد نزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله). ونحوه في: ٢٩٧/٥. وأرسلته قريش الى اليهود ليعينوهم على النبي ﷺ (بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما: سلاهم عن محمد وصفا لهم صفتهم وأخبارهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم

الأنبياء... فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فرّوا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب؟ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأه؟ وسلوه عن الروح ما هي). (ابن هشام: ١/١٩٥).

وهو كاتب الصحيفة الملعونة الأولى ضد بني هاشم . (ابن هشام: ١/٢٣٤).

وختاماً ، نلاحظ أن كثيراً من الرواة خلطوا بين جابر بن النضر الذي نزل عليه العذاب بحجر من السماء ، وبين أبيه النضر الذي قتل قبله بعشر سنين في بدر ! وذلك لتشابه شخصيتهما وعدائهما لله ولرسوله ، ولا يبعد أن يكون الرواة أرادوا إخفاء الإبن المقتول لاعتراضه على ولاية علي عليه السلام ، وفأدغموه في أبيه ، وجعلوا أخبارهما واحدة !



فهرس الموضوعات

- آية التبليغ مع سياقها ٥
- تفسير الشيعة لآية التبليغ ٧
- تفسير أتباع ابن تيمية لآية التبليغ ١٧
- أقوال علماء الحكومات في آية التبليغ ٢٣
- ملاحظات على تفسيرهم للآية ٣٠
- آية إكمال الدين وإتمام النعمة ٣٩
- الأقوال الثلاثة في تفسير الآية ٤٠
- قول عمر ومعاوية في الآية ٤٥
- آية إكمال الدين نزلت في الغدير لا في عرفات ٤٨
- عيد الغدير عيدٌ سني أيضاً ٦٠
- أسباب النزول تكشف تحريفات السلطة ٦١
- معنى الإكمال يؤكد موقع منظومة الأئمة عليهم السلام ٧٤
- تفسير آية سأل سائل بعذاب واقع ٧٦
- أحجار من السماء للمعترضين باسم قريش ٨١
- طرق وأسانيد حديث حجر الغدير ٨٥
- بنو عبد الدار أبطال العذاب الواقع ٩٣

